جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كارا تكين

معهد العلوم الاجتماعية

العلوم الاسلامية الأساسية

عنوان الأطروحة

تفسير القرآن لأبي حامد شمس الدّين محمّد الشهير بالمصري المقدسي الشافعي(ت893هـ) سورة النَّحل دراسةً وتحقيقاً

الطالبة

جنان صكر غربي الدليمي

أطروحة ماجستير

المشرف

أ.م. د. عبد الحكيم آغرباش

تشناكيري _ 2023

جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كارا تكين

معهد العلوم الاجتماعية

العلوم الاسلامية الأساسية

عنوان الأطروحة

تفسير القرآن لأبي حامد شمس الدّين محمّد الشهير بالمصري المقدسي الشافعي(ت893هـ) سورة النَّحل دراسةً وتحقيقاً

الطالبة

جنان صكر غربي الدليمي

أطروحة ماجستير

المشرف

أ.م. د. عبد الحكيم آغرباش

تشناكيري ــ2023

المحتوى

المحتوى i

بيان أخلاقيات البحث العلمي iii

TEZ KABUL VE ONAY iv

المقدمة v

ملخص الدراسة ix

ÖZET xi

ABSTRACT xii

الرُّموز المستخدمة xiii

الفصل الأوّل: قسم الدراسة 1

1.1. **المبحث الأول : التَّعريف بشمس الدِّين أبي حامد المقدسي** 1

1.1.1. المطلب الأول:اسمه ونسبه ولقبه 1

1.1.2. المطلب الثاني: مولده ونشأته 1

1.1.4. المطلب الرابع: وفاته 7

1.2. المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط وأهميته، ومنهج المؤلف فيه 8

1.2.1.المطلب الأول: توثيق اسم المخطوط ونسبته للمؤلف.....8

1.2.2. المطلب الثاني: أهمية المخطوط.....9

ف1.2.3.المطلب الثالث: منهج المؤلّف في كتابه:.....10

1.3. المبحث الثالث: وصف النُّسخ الخطية للكتاب ومنهجي في التحقيق.....14

1.3.1.المطلب الأول: وصف النُّسخ الخطية.....14

1.3.2.المطلب الثاني: منهج التَّحقيق.....16

نماذج من المخطوط.....17

الفصل الثَّاني: النّصُّ المحقَّق 23

الخاتمة.....99

قائمة المصادر والمراجع 101

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأنني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية خلال إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة: **[تفسير القرآن لأبي حامد شمس الدّين محمّد الشهير بالمصري المقدسي الشافعي(ت893هـ)سورة النَّحل دراسةً وتحقيقاً]** وهذا بدءًا من فترة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة، وأن هذه المعلومات المدرجة في الأطروحة أخذتها ضمن التقاليد العلمية وإطار الأخلاقيات، وكما أشرت إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها المعلومات، وإن كان سبيل الاقتباس بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعددتها وفقاً لضوابط كتابة الأطروحة، وأصرّح بأنَّ كلَّ المصادر و المراجع التي لجأت إليها هي تلك المدرجة في قسم المصادر و المصادر والمراجع .

2023

جنان صكر غربي الدليمي

TEZ KABUL VE ONAY

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Jnan Sagar Gharbi GHARBI tarafından hazırlanan "Ebû Hâmid Şemsüddîn Muhammed el-Mısrî el-Makdisî'nin Tefsîru'l-Kur'ân Adlı Eseri Edisyon ve Kritiği (Nahl Sûresi)" başlıklı bu çalışma 06.01.2023 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda oybirliği ile başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman	: Dr. Öğr Üyesi Abdulhekim AĞIRBAŞ	İmza .....
Üye	: Dr. Öğr. Üyesi Kutaiba FARHAT	İmza .....
Üye	: Dr. Öğr Üyesi İbrahim İBRAHİMOĞLU	İmza .....

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun .....tarih ……..ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof. Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

المقدمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وأفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام على رسوله الكريم، وبعد:

"إستمر العلماء في العناية بالقرآن شرحاً وبياناً وتصنيفاً إلى يومنا هذا؛ لبيان إعجازه ومكنوناته، ومن بين هؤلاء العلماء: العلَّامة شمس الدِّين محمَّد المصري الشافعي، أحد علماء القرن التاسع الهجري الَّذي نشط فيه التَّأليف والتَّصنيف، فترك لنا مجموعة من الكتب"، "منها كتابه الماتع (تفسير القرآن)، إذ حوى هذا الكتاب الكثير من الفوائد والنّكت"؛ ما جعله جديراً بالدراسة والتحقيق، وكان من فضل الله عليَّ أن أدرس قسماً من هذا الكتاب، وأسهم في خدمة كتابه الكريم، وأشارك زملائي في تحقيقه، فكان الجزء الخاص بي هو المتعلِّق بسورة النحل، الَّذي لم يحقق قبل هذه الدِّراسة.

فقمت بتقسيم البحث إلى قسمين، في القسم الأول: قسم الدراسة، حيث عرَّفت بالشَّمس المصري وكتابه، وفي القسم الثاني: قسم التَّحقيق حقَّقت فيه النَّص تحقيقاً علمياً وفق قواعد التحقيق المعروفة، وختمته بالنَّتائج والفهارس ووضعت قبل ذلك مقدِّمة للكتاب ذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره والصُّعوبات الَّتي واجهتني وخطة البحث على النحو الآتي:

أهميَّة الموضوع:

لتحقيق المخطوطات أهمية خاصة في تراثنا الثقافي والإسلامي، تتمثل فيما يأتي:

1 ـ تفاوتت أفهام الناس في فهم مراد الله من خلال كلماته المنظومة في القرآن الكريم، وهذا ما يجعل علم تفسير القرآن من أشرف العلوم، ففي القرآن ما يعين على مزيد من الانتقالات من الجهل وظلماته إلى نور العلم، ويساعد في حل مشكلات حياتية متجددة. هذا فيما يتعلق بأهمية التَّحقيق على وجه العموم

2 ـ مما لا يخفى على كل باحث القيمة اللغوية في تحقيق التّراث المخطوط، والتعبير عنها، وعودة الأحفاد إلى فهم لغة الأجداد يساهم في تقوية أواصر الانتماء والهوية، ويحفظ للغة تجددها وقدرتها على مواكبة التغيرات الجديدة، فلا مبالغة إذا قلنا أن التحقيق يوفر معجماً تاريخياً للغة العربية.

3 ـ أن العناية بتحقيق تراثنا العربي والإسلامي يمدّ المعرفة الإنسانية بالمزيد في مختلف مجالات العلم، مما قد ينهض بالأمة لتستأنف بناءها الحضاري .

4 ـ التراث المكتوب شاهد على حضارة الأمة، وعلى سمت العصر الذي تمت فيه الكتابة، وهذا يفيد في معرفة التاريخ بشكل أدق، وكيف سارت المجتمعات الإسلامية سياسياً واجتماعياً وعلمياً، ومعرفة التاريخ بداية لصناعة المستقبل

أسباب أختيار الموضوع :

ويمكن تلخيصه بالآتي :

1 ـ كثرة الفوائد العلمية في هذا الكتاب وتنوّع المسائل الواردة فيها؛ ما جعله محلّاً للدراسة والتحقيق .

2 ـ قيمة الكتاب المتناول العلميّة في موضوعه وجمعه بين التَّفسير بالمأثور والتَّفسير بالرأي والتَّفسير بالإشارة.

3 ـ مكانة المصّنف العلميّة، فهو يعتبر من أبرز أعلام القرن التاسع الهجري .

4ـ الذي دعا الباحث إلى تحقيق هذا المخطوط أنه لم يحقّق من قبل، مع ما فيه من فوائد كثيرة.

أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الرّسالة إلى دراسة حياة المؤلّف، وتحقيق مخطوطه في تفسير سورة النّحل بشكل علميٍّ لإخراجها للدِّراسة والقراءة والبحث العلميّ، خدمةً لكتاب الله، ثم لطلبة العلم الشَّرعيّ.

صعوبات الدّراسة:

مما واجه الباحث من صعوبات في قسم الدراسة والتحقيق ما يأتي:

1. قلَّة المصادر المترجمة لأبي حامد المقدسيّ(مؤلّف المخطوط).
2. شحّ الأخبار عن مؤلفاته، فأغلب ما ورد عنها أتى إشارات متفرقة بلا توسُّع.
3. كثرة المصطلحات النَّحوية ومسائل الصَّرف، التي وردت في كثير من الأحيان على شكل إشاراتٍ سريعةٍ، مما يحوجُ إلى سعة الاطلاع على المنابع اللُّغوية التي تكلّم عليها المؤلف أو استقى منها تعليقاته.

خطة الدّراسة:

قسمت الدِّراسة إلى قسمين ، الأول: **قسم الدراسة**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بشمس الدين أبي حامد المقدسي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته.

المبحث الثاني: التَّعريف بالمخطوط وأهميته، ومنهج المؤلف فيه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: توثيق اسم المخطوط ونسبته للمؤلف.

المطلب الثاني: أهميَّة المخطوط

المطلب الثالث: منهج المؤلف في كتابه.

أما المبحث الثالث فعن وصف النسخ الخطية ومنهجي في التحقيق، وفيه:

المطلب الأول: وصف النسخ الخطية.

المطلب الثاني: منهجي في التحقيق.

أما القسم الثاني فعرضت فيه النَّص المحقق.

ثم ختمت الدّراسة بنتائج البحث، وذيّلتها بالفهارس العامَّة وقائمة المصادر والمراجع التي رجعت إليها، وأرفقت السِّيرة الذاتية بالباحثة.

ملخص الدراسة

عنوان الأطروحــة: تفسير القرآن لأبي حامد شمس الدّين محمّد الشهير بالمصري المقدسي الشافعي(ت893هـ) سورة النَّحل، دراسةً وتحقيقاً

معدّ الأطروحــة: جنان صكر غربي

المشرف : أ.م. د. عبد الحكيم آغرباش

القسم: العلوم الاسلامية

نوع الأطروحة : ماجستير

تاريخ الموافقة : 06/01/2023

تتناول هذه الدراسة مخطوطاً ثميناً ذا قيمة علميّة للمؤلِّف شمس الدين محمد المصري، المتوفَّى سنة (896هـ) من علماء القرن التاسع للهجرة النبوية، الذي لم نقف له على ترجمة وافية، وتسلّط الضَّوء على كتابه المعنون "تفسير القرآن" لسورة النحل ، وقد اختص هذا التفسير بخصائص عدة؛ ما دفعني إلى إخراجه وتحقيقه، من ذلك: أنه جاء جامعاً لمناهج المفسرين المشهورة، من تفسير بالمأثور وبالرأي وبالإشارة، وما حواه من تنوّع المشارب المعرفية؛ إذ شمل إلى جانب التفسير الحديث والقراءات واالنحو والصرف والبلاغة والفقه، واهتم في تفسيره بشكل خاص بالجانب اللغوي والبلاغي وبيان أوجه الإعراب والقراءات، فاستعان بكتب اللغة والبلاغة وشروحها في بيان المعاني، والمقابلة بين الآيات القرآنية المتناظرة في الدلالة أو اللفظ،كما اعتنى بشروح الألفاظ ومعانيها المعجمية.كما تطرق إلى مسائل العقيدة والفقه بإيجاز، وكان المؤلف يستعين في شروح الآيات القرآنية بأقوال الصحابة والتابعين ومشاهير العلماء لتدعيم رأيه وفكرته، ويستدل بالأحاديث النبوية ـ وإن كان كثير منها ضعيفاً دعماً لمعاني الآيات. وسلك الباحث المنهج الوصفي التاريخي في قسم الدراسة والمنهج العلميّ المتّبع في التَّحقيق والتَّعليق، إذ كتبه وفق الرسم الإملائي المعتبر، وقارنَ بين نسخه وأثبت الفروق، ووثّق أقوال الصحابة والتَّابعين والمفسِّرين والفقهاء والمحدثين واللغويين وعزاها إلى مصادرها،

وأزال الإشكال عن المواضع التي وقع فيها الغموض واللبس قدر المستطاع، ومن أهم النتائج التي خرج بها الباحث هي: أنَّ المقدسي لم يكتفِ ببيان الدِّلالات المعجميَّة فحسب، بل كان يتوسَّع في بيان الفروق الدِّلالية بين الألفاظ وفقَ سياقاتها، كما أنه ضمّن تفسيره الكثير من أقوال المفسِّرين واللغويين الآخرين؛ ما دفع الباحث إلى تعقبها وعزوها إلى مصادرها ومظانِّها، ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج ثم بالفهارس الفنية والسيرة الذاتية للباحث.

الكلمات المفتاحية: التفسير، شمس الدّين أبو حامد، سورة النحل، التَّحقيق.

ÖZET

Tez Başlığı:	Ebû Hâmid Şemsüddîn Muhammed el-Mısrî el-Makdisî'nin Tefsîru'l-Kur'ân Adlı Eseri Edisyon ve Kritiği (Nahl Sûresi)
Tezin Yazarı:	Jnan Sagar Gharbi GHARBI
Danışman:	Dr. Öğr. Üyesi Abdulhekim AĞIRBAŞ
Anabilim Dalı:	Temel İslam Bilimleri Ana Bilim Dalı
Tezin Türü:	Yüksek Lisans
Kabul Tarihi:	06/01/2023

Bu çalışma, h. 9. asırda yaşamış olan Şemsü'd-dîn Ebî Hâmid el-Mısrî el-Makdisî eş-Şafii'nin el yazması tefsirinin Nahl Suresi'nin bulunduğu bölümün tahkikinden oluşmaktadır. Müellifin rivayet, dirayet ve işari tefsirlerinin üçünü de kullanması; tefsir, hadis, kıraat, fıkıh, nahiv, sarf özellikle belagat ve dilbilgisi gibi çeşitli bilgi alanlarını içeren kitaplardan istifade etmesi, kelimelerin sözlük anlamları, irab ve kıraât çeşitlerine değinmesi ile fıkhi ve akîdevi meseleleri kısaca zikredip zaman zaman onları referans alması bu eseri çalışmamıza neden olan önemli hususlardandır. Ayrıca; müellifin eserinde bir mananın açıklanması ya da bir görüşün desteklenmesi için sahabelerin tabiinin ve meşhur alimlerin ifadelerine, sahih ve zayıf hadislere yer vermesi; hadis, kıraat, şiir, sarf ve nahiv, belagat vb eserlerden faydalanması ve kelimelerin sözlük anlamlarının farklılıklarını açıklamakla iktifa etmeyip lafızlar arasındaki delalet farklılıklarını da genişleterek açıklaması bu eseri değerli kılan hususlardandır. Ancak, Kurtubî ve Beyzâvî'den çokça alıntılar yapmış olmasına rağmen, onlara atıfta bulunmaması eseri kusurlu kılmaktadır. Müellifin eserini icazu'l-Kur'an'ın açıklaması ve onunla hemhal olunması tavsiyesiyle bitirmiştir. Bu eserin tahkiki ve tahlilinde tercihli metin yöntemi tercih edilmiştir. Ayrıca, müellifin zati ve ilmi şahsiyetini tanıtmak için açıklayıcı tarih metodunu kullanmıştır. Tez iki bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır. Birinci bölümde müellif ve söz konusu eseri tanıtılmıştır. Tahkikin yapıldığı ikinci bölümde ise a) modern yazım kurallarına göre yazıya geçirilmiştir. b) Metinde atıfta bulunulan şahıs ifadelerinin hangi eserde geçtiği dipnotlarda belirtilmiştir. c) Metinde kapalı olan bazı meseleler açıklığa kavuşturulmuştur. Sonuç bölümünden sonra fihrist ve özgeçmiş yazılarak tez tamamlanmıştır.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Şemsü'd-dîn Ebû Hâmid, Nahl Suresi, Tahkik.

ABSTRACT

Thesis title:	Interpretation of the Qur'an by Abu Hamid Shams al-Din Muhammad, the famous Egyptian al-Maqdisi al-Shafi'I: Surah An-Nahl (a study and investigation).
Thesis preparer:	Jnan Sagar Gharbi GHARBI
Supervisor:	Asst. Prof. Dr. Abdulhekim AĞIRBAŞ
Section:	Basic Islamic Sciences
Thesis type:	Master's
Approval date:	06\ 01\ 2023

The study deals with a manuscript investigation into the interpretation of "Surat An-Nahl" by the scholar Shams al-Din Abu Hamid al-Masri al-Maqdisi al-Shafi'i, one of the scholars of the ninth century AH. This interpretation has several advantages; What prompted me to study and investigate it, such as: the author combined interpretation with the maxim, interpretation by opinion, and interpretation by reference, and took care of the linguistic vocabulary and the various syntactic aspects, and the ways of readings, and the rhetorical and linguistic aspect were particularly concerned, as well as the jurisprudential and ideological issues. In a brief and sometimes weighted manner, and in his interpretation he combined the sayings of the companions, followers and famous scholars to clarify a meaning or support an idea, and included in his interpretation the correct and weak hadiths, and collected in his interpretation various sciences such as hadith, readings, poetry, grammar, rhetoric and morphology; He expanded on explaining the semantic differences between the words, and was not satisfied with explaining the lexical differences; What gained him great scientific value, but he is criticized for taking from The interpretations of Al-Qurtubi and Al-Baydawi without attributing them. The researcher followed the historical descriptive approach in introducing the author and his scientific biography , and followed the scientific method in investigation and commentary. In the study section, the author and his book were introduced. In the investigation section, the researcher took care of writing the text according to the modern orthographic drawing, adjusting and extracting the sayings and attributing them to their sources, and by addressing the issues contained in the text and clarifying them. Then the study concluded with its results, scientific indexes and the researcher's biography.

Keywords: Interpretation/Tefsir, Shams Al-Din Abi Hamid, Surat An-Nahl, Investigation.

الرُّموز المستخدمة

ت: تأريخ الوفاة.

د.ت: دون تاريخ.

ط: الطبعة.

د.ط: دون رقم الطبعة.

م: تاريخ ميلادي.

ه: تاريخ هجري.

تح: تحقيق.

الفصل الأوّل: قسم الدراسة

1.1.المبحث الأول : التَّعريف بشمس الدِّين أبي حامد المقدسي

1.1.1.المطلب الأول:اسمه ونسبه ولقبه

"محمّد بن أَحمد بن محمّد بن محمّد بن حامد بن أَحمد بن عبد الرَّحمن الشَّمس، أَبو حامد بن الشهاب بن الشمس المقدسي الشافعي، الماضي أَبوه، ويُعرف كسلفه بابن حامد"[1].

1.1.2.المطلب الثاني: مولده ونشأته

"وُلد في نصف ربيع الآخر سنة سبع وثمانمئة ببيت المقدس، ونشأ فقرأ القرآن عند أبيه وجَماعة، وحفظ المنهاجين، والألفيتين، وقطعة من مختصر ابن الحاجِب الأَصلي[2]، وعُرض على البرماوي[3]، وابن الجزري[4] وابن رسلان[5]، وسمع على والده والتَّدمري[6] وطائفةٍ، وأخذ الفقه عن ابن

---

1 "شمس الدّين ابو الخير محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن ابي بكر بن عثمان بن محمّد، السخاوي . *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* (لبنان: بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د. ت)، 84/7."

2 "محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم ابن أحمد بن محمّد أبو الثناء شمس الدّين الأصفهاني، *بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب*، تح. محمّد مظهر بقا، ط. 1، (السعودية: دار المدني، 1406هـ/ 1986م)، 3. "

3 "محمّد بن عبد الدائم بن موسى شمس الدين أبو عبدالله العسقلاني الأصل البرماوي المصري ،الشيخ الإمام العلّامة مولده سنة 763هـ ، أخذ عن الشيخ سراج الدين البلقيني وسراج الدين أبن الملقن ، والشيخ زين الدين العراقي" ، "وعز الدين ابن جماعة ، ومجد الدين البرماوي ، وتميز في الفقه والنحو والحديث والأصول ، وأقام بمصر يشتغل ويفتي ، وقدم دمشق مراراً ،وولي إفتاء دار العدل ، ثم عاد إلى مصر ومنها انطلق للحج وجاور بمكة" ، "أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية ،(بيروت : عالم الكتب ، ط1 ، 1407هـ)" ، 103/4.

4 "أحمد بن محمّد بن محمّد، أبو بكر شهاب الدّين ابن الجزري القرشي الشافعي، مقرئ، دمشقي المولد والوفاة، أخذ عن أبيه وغيره وسمع القراءات الاثنتي عشرة، وتصدر للتدريس . الزركلي، *الأعلام*، 1/ 227. "

5 "هو أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان، أبي العباس شهاب الدّين، الرملي: فقيه شافعي ولد بالرملة بفلسطين وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي فيه ا، وكان زاهداً متهجداً. له (الزبد–ط) منظومة في الفقه، ويقال لها (صفوة الزبد). "

6 "إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمّد ابن كامل التدمري، فاضل من الشافعية، كان خطيب مقام الخليل بفلسطين. الزركلي، *الأعلام*، 1/ 293. "

رسلان قرأَ عليه تصنيفه الزّبد، وكذا قرأ على التَّقي بن قاضي شُهبة[1] حين قدم عليهم، وراسله بالإذن لهُ بالإفتاء والتّدريس[2]، وكذا أذن لهُ أَبو بكر الأَذرعي[3]، وقرأَ بعضًا من توضيح ابن هِشام على الشّمس البرماوي، وارتحل إلى القاهرة سنة 837هـ فأخذ عن شيخنا، وسمع حينئذٍ على البدر حسنين البوصيري[4] ثلاثة مجالس من آخر سنن الدارقُطني[5] من عشرة بقراءَة شيخنا ابن خضر[6]، ووصفه بالشيخ الفاضل[7]، وأخذ بعدها عن القاياتي[8] البعض من عقيدة النسفي، وقابل مع العلاء

1 "أحمد بن محمّد بن عمر، أبو العباس شهاب الدّين الأسدي، ابن قاضي شهبة، مؤرخ شافعي دمشقي، صنف ودرس بالجامع الأموي وأفتى وبرع في الفرائض. الزركلي، *الأعلام*، 1/ 225. "

2 "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 173/2 /174 / 175."

3 "أحمد بن سليمان بن داود بن أبي بكر التقي أبو الصدق بن الشهاب بن أبي الربيع الأذرعي ثم الدمشقي ثم الشافعي ولد سنة (798هـ) بدمشق ونشأ بها فحفظ كتباً . "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 5/ 223. "

4 "الشيخ العالم المعمر، مسند الديار المصرية، أمين الدّين أبو القاسم، سيد الأهل، هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي، المنستير الأصل البوصيري المصري، الأديب الكاتب. ولد سنة (506هـ) حدث عنه الحفاظ: عبد الغني، وابن المفضل، والضياء، وأبو الحسن، وبن خليل. شمس الدّين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، *سير أعلام النبلاء ط. الحديث*، ط.1، (مصر: القاهرة، دار الحديث، 1427هـ/ 2006م)، 15/ 469.

5 "أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني، *سنن الدار قطني*، مح. شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ط.1، (لبنان: بيروت، مؤسسة الرّسالة، 1424هـ / 2004م)، 5. "

6 "أحمد بن محمّد بن عمر بن مسلم، أبو العباس، شهاب الدّين العمري، المعروف بابن خضر، ويسمى قول أحمد فقيه حنفي، دمشقي صالحي، ولي إفتاء دار العدل سنة (750هـ). الزركلي، *الأعلام*، 1/ 225. "

7 "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 84/7. "

8 "محمّد بن علي بن يعقوب بن محمّد القاياتي قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدّين الشافعي، علامة الديار المصرية والمرجع إليه فيها في غالب العلوم النقلية والعقلية، ولد في حدود سنة 780هـ. وقيل سنة 785هـ، وسمع على العراقي، والبلقيني، والأنباسي، والتقي الدجوي، والبدر الطنبدي، وأجاز له ابن الملقن. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيوطي ، *نظم العقيان في أعيان الأعيان*، مح: فيليب حتي، د. ط، (لبنان: بيروت، المكتبة العلمية، د.ن)، 1/ 154. "

القلقشندي[1] ناصحة الموحدين لشيخه العلاء البُخاري[2]، وحج في سنة 854هـ[3] ثم صحبه أَبيه، وسافر لدمشق مرارًا وأخذ بها عن ابن ناصر الدّين[4]، وكذا دخل حماة وغيرها.

وناب في الإعادة بالصَّلاحية[5] بل استقر في مشيخة الفخرية[6] بعد أَبيه، اجتمع بي وسألني في ترتيب ما أوقفني عليه من أثباته فأجبته، وسمعت من فؤاده، وعلَّقت عنهُ أَشياء، وكان محباً في الفائدة مع التّواضع والشَّيبة النيرة".

1.1.3.المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته

شيوخه: من أبرز الشّيوخ الذين تلقّى العلم عنهم:

1. شمس الدّين ابن الجزري :

---

1 "هو برهان الدّين أبو الفتح إبراهيم بن شيخ الإسلام علاء الدّين أبي الفتح علي بن القاضي قطب الدّين أحمد بن إسماعيل بن علان القرشي الشافعي، جمال الدّين القلقشندي، نسبة إلى قرية من قرى مصر، الإمام العلامة الحافظ الرحلة القدوة. عبد الحي بن أحمد بن محمّد ابن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، مح: محمود الأرناؤوط، ط.1، (لبنان: بيروت، دار ابن كثير، 1406هـ/1986م)، 8/ 104. "

2 "محمّد بن محمّد بن محمّد البخاري علاء الدّين، فقيه من كبار الحنفية، ولد بإيران ونشأ ببخارى، ورحل إلى الهند ثم إلى مكة فمصر واستوطنها، وانتقل إلى دمشق فأقام إلى أن مات فيها ، ودفن بالمزة، له رسالة في الرد على ابن عربي سماها (فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين). 7/ 46. "

3 " السخاوي، *الضوء اللامع*، 84/7. "

4 "محمّد بن عبدالله أبي بكر بن محمّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدّين، الشهير بابن ناصر الدّين حافظ للحديث، مؤرخ أصله من حماة ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة (837هـ) وقتل شهيداً في إحدى قرى دمشق. الزركلي، *الأعلام*، 6/ 237-238. "

5 "بالقرب من البيمارستان النوري بانيها نور الدّين محمود بن زنكي الشهيد، ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدّين فاتح بيت المقدس". "الدمشقي، *الدارس في تاريخ المدارس*، 1/ 250. "

6 "المدرسة الفخرية: أو دار الذهب أو مدرسة فخر الدولة، مدرسة تاريخية يعود تأسيسها إلى العصر العباسي في بغداد، تم إنشائها للمذهب الشافعي، في عقد المصطنع، بالمأمونية في الجانب الشرقي للمدينة، سميت نسبة إلى بانيها الوزير فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن علي بن المطلب الكرماني البغدادي، (ت: 1082هـ) إلا أنها لم تعد موجودة اليوم. ينظر: السخاوي، *الضوء اللأمع لأهل القرن التاسع*، 3/ 72".

هو "أحمد بن محمّد بن محمّد، أبو بكر شهاب الدّين ابن الجزري القرشي الشّافعي، مقرئ، دمشقي المولد والوفاة، أخذ عن أبيه وغيره وسمع القراءات الاثنتي عشرة، وتصدّر للتدريس، ومات بعد أبيه المتوفي سنة 833هـ، شيخ القراء في زمانه، من حفّاظ الحديث، من مصنّفاته: النّشر في القراءات العشر، الدّرّة المضيئة وغيرهما[1]، وقد أخذ عنه المقدسيّ عندما درَّس في الصّلاحيّة"[2].

2. تاج الدّين التّدمري:

هو "إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن محمّد ابن كامل التّدمري، فاضلٌ من الشَّافعية، كان خطيب مقام الخليل بفلسطين، مؤلِّف كتاب(مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه السّلام) "[3]. "وهو ممن سمع منه أبو حامد المقدسي، وحضر دروسه"[4].

3. مجد الدّين البرماوي :

هو "محمّد بن عبد الدائم بن موسى النُّعيمي العسقلاني البرماوي، أبو عبدالله شمس الدّين، عالم بالفقه والحديث، شافعيُّ المذهب مصريّ، أقام مدّة في دمشق، وتصدّر للإفتاء والتّدريس في القاهرة، وتوفي في بيت المقدس (831هـ)، نسبته إلى بِرْمَة من الغربية بمصر، قال ابن حجر عنه: له مجاميعٌ حسنة، وفوائدٌ مستحسنة[5] وقد أخذ عنه المقدسي"[6].

4. شمس الدّين بن ناصر الدّين الدمشقي:

---

1 "الزركلي، *الأعلام*، 1/ 227. "

2 "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 84/7. "

3 "الزركلي، *الأعلام*، 1/ 293. "

4 "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 295/2. "

5 "الزركلي، *الأعلام*، 6/ 188. "

6 "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 84/7. "

هو "محمّد بن عبدالله أبي بكر بن محمّد ابن أحمد بن مجاهد القيسيّ الدمشقيّ الشّافعيّ، شمس الدّين، الشّهير بابن ناصر الدّين حافظ للحديث، مؤرّخ أصله من حماة ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة 837هـ، وقتل شهيداً مسموماً في إحدى قرى دمشق، من مصنّفاته : الرّدّ الوافر، والتّبيان وغيرهما، وقد أخذ عنه المقدسيّ في رحلاته لدمشق"[1].

تلاميذه :

لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من أشار إلى تلاميذه غير أن السّخاوي قد علَّق عنه بعض الفوائد، فهو بمثابة تلميذ لأبي حامد المقدسي رحمه الله تعالى[2].

"شمس الدّين السّخاوي" :

هو "محمّد بن عبد الرَّحمن بن محمّد بن شمس الدّين السَّخاوي، المحدث، مؤرّخ حُجّة، وعالم بالحديث والتَّفسير والأدب، أصله من سخا من قرى مصر، ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة سنة 902هـ، استفاد كثيراً من الحافظ بن حجر العسقلاني وشرف الدّين المناوي وغيرهما، من مصنفاته: الضّوء اللامع في أعيان القرن التاسع، تخريج أحاديث العادلين، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث وغيرها"[3].

مؤلفاته:

---

1 "الزركلي، *الأعلام*، 6/ 237-238. "

2 "السخاوي، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، 84/7. "

3 "الزركلي، *الأعلام*، 6/ 194".

ترك المؤلف لنا مصّنفات في مختلف العلوم والفنون، نظراً لتنوّع العلوم التي أخذها عن علماء عصره، وهي على الترتيب:

1 ـ "بذل النَّصائح الشَّرعية فيما على السَّلطان وولاة الأمور وسائر الرعيَّة"[1] : كتاب في الحسبة ، وضّح المؤلف معناها لغةٌ وأصطلاحاً ، وذكر اختصاص المحتسب وصلاحياته ، وتطرَّق إلى المعنى القضائي والأخلاقي الواسع للحسبة ، وقد حُقِّقَ الكتاب كرسالة جامعية بالمملكة العربية السعودية.

2 ـ "البشرى بحصول الأجر المتين، والنَّصر المبين في تسلية الحزين"[2] :رسالة في وعظ السلطان وتسليته وتصبيره على المصيبة التي ابتلي بها ، وهي كسر جيوش السلطنة المملوكية على يد الأمير بايندر أمير الرُّها من جهة الأمير يعقوب بك بن حسن الطويل ، صاحب إمارة الشاه البيضاء التركمانية في سنة 885 هـ، وقتل الأمير يشبك من مهدي الداودار ، وقد حقَّق هذه الرسالة محمد جمال الشوربجي ، ونشرها في مجلة آفاق الثقافة الإماراتية سنة 2020م

3 ـ "الجواب المرهف عن سؤال الملك الأشرف"[3]:"رسالة صغيرة في علم التفسير ، ولقد أجاب فيها المؤلف عن سؤالات الملك الأشرف حول آيتين من القرآن الكريم : الأولى قوله تعالى" ﴿**إنَّا فتحنا لَك فتحاً مُبينا**﴾[4] والثانية : قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطو في اليتامى**﴾"[5] **"**وقد حقَّق هذه الرسالة محمد جمال الشوربجي ونشرها في مجلة آفاق الثقافة الإماراتية" سنه 2020 م

---

1 "البغدادي، *هدية العارفين*، 215/2. "

2 "البغدادي، إسماعيل بن محمّد أمين، *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، (لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 184/3".

3 "البغدادي، *هدية العارفين*، 215/2. "

4 الفتح : 48 / 1

5 النساء :4/ 3

4 ـ "تشنيف الأسماع بتلخيص الإمتاع"[1]: "هو عبارة عن تلخيص كتاب كمال الدين الأدفوي" (749هـ): "الأمتاع في أحكام السماع" ، "وأقتصر على المقصود ، ورتَّبه كأصله ومايزال هذا الكتاب مخطوطا مرقوناً في مكتبة تشستربتي / دبلن" ، برقم 3849

5ـ "تحفة الأنفس الزكيَّة في سير الملوك المرضيَّة"[2]: "هذا الكتاب قرَّظه الحافظ ابن حجر ، وذكر أنَّه أهداه إلى السلطان المملوكي الظاهر جقمق"

6ـ "الدرّة المضيَّة في خبر الدَّولة الأشرفيَّة"[3]: "أهداه الى السُّلطان الأشرف قايتباي سنة 896هوهذا ما صرَّح به المؤلف في كتابه (دول الأسلام)ومايزال مخطوطاً" .

7ـ "الفضائلُ الباهرة في أخبار مصر والقاهرة"[4]: وهو مخطوط

1.1.4.المطلب الرابع: وفاته

وقد اختلف العلماء في تأريخ وفاته، "فذكر السَّخاوي أنه توفِّي بدمشق سنة (874ه)"[5]، ونستبعد هذا التَّاريخ استناداً إلى أحد كتب المؤلِّف وهو: (بذلُ النَّصائح

1 "حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت 1067هـ)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، (بغداد، مكتبة المثنى، 1941م، د.ط)، 167/1.

2 السخاوي، *الجواهر والدرر*، 742".

3 "المصري، أبو حامد المقدسي، *دول الإسلام الشريفة*، 98. "

4 المصدر السابق، 98.

5 السخاوي، *الضوء اللامع*، 84/7.

الشَّرعية)[1]، فقد جاء في نسخة برلين الوطنيَّة أنَّ النَّاسخ كتبها من نسخة المصنِّف التي بخطِّه سنة (880 ه) ودعا له بالبقاء، مما يدلُّ على أنَّه كان حيَّاً في هذه السَّنة، وذكر "البغدادي وانساق وراءه كحالة"[2] أنَّ وفاته سنة (893ه)، وهذا التاريخ بعيدٌ أيضاً؛ لما جاء في كتاب (دول الإسلام) للمؤلف، من أنه أهدى كتاب (الدرة المضيَّة في خبر الدولة الأشرفيَّة) للأشرف قايتباي سنة 896ه[3]، كما ذكر كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربيّ[4] أنَّ وفاته كانت سنة (912ه) ، ولم يورد دليلاً على ذلك، لذلك يبقى الاحتمال الأقرب للصَّواب أنَّه توفي بعد سنة 896 ه اعتماداً على الأدلَّة السَّابقة، والله تعالى أعلم.

1.2.المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط وأهميته، ومنهج المؤلف فيه

1.2.1.المطلب الأول: توثيق اسم المخطوط ونسبته للمؤلف

مما يؤكد نسبة هذا التّفسير إلى المؤلّف أمور عدّة:

1. وجد الباحث في إحدى نسخ المخطوط –وهي موجودة في مكتبة بلدية الإسكندرية– اسم المؤلف في العنوان صريحاً وهو: شمس الدّين محمّد الشهير بالمصريّ الشّافعي، ويبدو أن ناسخه من العلماء، أو وقعت بيده نسخة المؤلّف، فهو ينعته بالفاضل وبسيبويه زمانه، وأنَّ ضريحه بناحية ديبي بالوجه البحري، مما يدلّ على صلة وثيقة بين النّاسخ وبين المؤلّف من أحد الوجوهِ التي تمّ ذكرها.

---

1 "محمد بن أحمد المقدسي الشافعي، *بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية*، تح: سالم بن طعمة الشمري، (المملكة العربية السعودية/ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1996م)،" 31.

2 الباباني، *هدية العارفين*، 215/2؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، (العراق/ بغداد: مكتبة المثنى، د.ت)، 156/10.

3 أبو حامد المقدسي، *دول الإسلام الشريفة البهية*، 98.

4 "أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي*، (مصر/ القاهرة: دار المعارف، 1426هـ)،" 2/ 133.

2. وقع في بيانات مركز الملك فيصل نسبة المؤلف صريحةً إلى محمّد بن عبد الرحمن المقدسي شمس الدّين المعروف بالمصري .

3. إن السَّخاوي ترجم للمؤلف، وذكر أنّه لم تعجبه طريقته في التَّأليف، لأنه ينقل كثيراً عن غيره، وقد صرّح المؤلف في مقدمة التّفسير أنه سينقل عن القرطبيّ كثيراً[1]

1.2.2. المطلب الثاني: أهمية المخطوط

تأتي أهمية تفسير أبي حامد المقدسيّ لسورة النّحل من عدة نواح ،منها :

– لم يقتصر التفسير على علم واحد، بل شمل في طياته علوماً شتى، فشمل الحديث والفقه والعقيدة واللغة من بلاغة ونحو وصرف؛ ما يدل على سعة ثقافة المؤلف وتنوع مشاربه المعرفية .

– أن المؤلف جمع في تفسيره بين مناهج المفسرين المتعددة، فأورد التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، واستطاع إيراد الأقوال في أسلوب سهل ورصين، واختار من الآراء ما حقق مقصوده وغرضه في الآيات، ما جعله تفسيراً قيماً ذاخراً بالفوائد والنكات، ينهل منه كل الباحثين على اختلاف أفكارهم.

– وفي إيراد المؤلف للتفسير بالرأي اعتمد على المصادر التي عنيت باللغة ودلالاتها، فنقل عن النسفي والبيضاوي وغيرهم ، وضمن من كلامهم ما زاد تفسيره تنوعاً وفائدة.

إن هذا التَّنوُّع المعرفيّ من اللغة وما فيها من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ، ودلالاتٍ معجميَّة، بالإضافة إلى القراءاتِ، والحديثِ، والاستشهادِ بأقوال المفسِّرين؛ هو ما أعطى لتفسير المصري أهميَّة علميَّة جديرة بالتَّحقيق والدِّراسة.

---

[1] "السخاوي ، *الضوء الامع لأهل القرن التاسع*" ، 84/7 .

1.2.3. المطلب الثالث: منهج المؤلّف في كتابه:

من أهم ما يميز منهج أبي حامد المقدسي هو أنَّه جمع في تفسيره بين التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرأي والتّفسير الإشاري، وبنى تفسيره لسورة النَّحل على الشروع في الشرح، والتّفسير، والاستدلال، والاستشهاد بلا مقدّمة، وبلا ذكر لاسم المصنّف، ومن دون حديث عن مسوّغات التّأليف، أو تقريظ الجهد الشَّخصي الكبير المبذول، لكن تنوّعت مشارب أبي حامد الشافعي في التّفسير، فجمع في مخطوطه التّفسير، النّحو، والصّرف، والبلاغة، والحديث، والشّعر، والقراءات.

ومن الأمثلة الدَّالة على بناء أبو حامد المقدسي في تفسيره على تنويع المشارب المعرفية ما يأتي:

1. **إيراد أقوال العلماء والمفسرين في شروح الآيات القرآنية لتدعيم الرّأي وإثبات وجهة النظر:**

فمثلاً ما جاء في اللوحة [أ,286 ـ287] تفسيره لقوله تعالى: "﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾" أي: "وأولاد، أولاد أو بناتٍ، فإن الحافظ هو المسرعُ في الخدمةِ، ومنه قولهم: وإليكَ نسعى ونحفِدُ، والبناتُ نجدُ من في البيوتِ أتمَّ خدمةٍ، وقيلَ: هم الأختانُ على البناتِ"، قالَ الأصمعي: الختنُ ما كانَ من قِبل المرأةِ مثلَ أبيها وأخيها والأصهارِ منها جميعاً"، وقيلَ: الرَّبائبُ، وروى ابنُ القاسمِ عن مالكَ: الحفدةُ الخدمُ والأعوانُ"، وعن ابنِ عبَّاس: "همْ الأعوانُ، القرطبي : الحفدةُ أولادُ الأولادِ، وهوَ ظاهرُ القرآنِ بلْ نصُّهُ، ألا تَرى أنَّهُ قالَ: وجعلَ لكمْ من أزواجِكم بنينَ وحفدةَ فجعلَ البنينَ والحفدةَ منهنَّ انتهى. ووجودُ الأبناءِ يكونُ من الزَّوجينِ معاً، ولكنَّهُ لما كانَ خلقُ المولودِ من الزَّوجةِ، وانفصالهُ عنها أُضيف إليها، ولذلكَ تبيعُها في الرّقِّ والحُريَّة"، قالَ ابنُ العربيّ: " سمعتُ إمامَ الحنابلةِ بمدينةِ السَّلامِ أبا الوفا عليّ بنَ عقيل يقولُ: إنَّما تَبعَ الولدُ الأمَّ في الماليَّةِ، وصارَ حكمُها في الرّقِّ والحُريَّة؛ لأنَّه انفصلَ عن الأبِ نطفةً لا قيمةَ له، ولا ماليَّةَ فيه، ولا منفعةَ، وإنَّما اكتسبَ ما اكتسبَ بها ومنها، فلأجلِ

ذلكَ تبعها كما لو أكلَ رجلٌ تمراً في أرضِ رجلٍ، وسقطتْ منه نواةٌ في الأرضِ من يدِ الآكلِ، فصارتْ نخلةً فإنَّها مُلكُ صاحبِ الأرضِ دونِ الأكلِ بإجماعٍ من الأمَّةِ لأنَّها انفصلتْ عن الآكلِ ولا قيمةَ لها ".

2. عرض بعض وجوه القراءات: تعدّد القراءات مسوغةً ببيان المراد في كل منها:

جاء في اللوحة [أ ,267]في تفسير قوله سبحانه: "﴿**سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾" أي: "تنزيهٌ لهُ عمَّا يصفونهُ من أنَّه لا يقدرُ على قيامِ السَّاعة، وذلك أنهم يقولون: لا يقدرُ أحدٌ على بعثِ الأمواتِ، قُرئ يشركون بالياء خطاباً للمؤمنين أو لهم ولغيرهم، وقُرئ بالتَّاء على وفقِ فلا تستعجلوه" .

3. الاستدلال بالحديث النَّبوي الشّريف تدعيماً لتفسير الآيات القرآنية:

جاء في اللوحة [أ,269]ما ذكره في تفسير الآية: "﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾" ذكره الماوردي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُذنَ لي أن أحدّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ"، وكذلك جاء في اللوحة [أ,294] في تفسير قوله سبحانه: "﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾" فقد رجع إلى أحاديث نبويّة فقال: في الدُّنيا يعيشُ عيشاً طيّباً، فإنَّه إن كانَ موسراً فظاهرٌ، وإن كانَ معسراً يطيبُ عيشُهُ بالقناعةِ، والِرّضا بالقِسمةِ، وتوقُّع الأجرِ العظيمِ في الآخرةِ، بخلافِ الكافرِ فإنَّه إن كانَ معسراً فظاهرٌ، وإن كانَ موسراً لم يدعهُ حرصُهُ وخوفُ الفواتِ أن يتهنَّى بعيشهِ، وقيلَ: وفي الحديثِ: "القناعةُ كنزٌ لا يَفنى"، وفي حديثِ أبي هريرةَ : "كُنْ وَرِعاً تكنْ أعبدَ النَّاسِ، وكُنْ قَنِعاً تكنْ أشكرَ النَّاسِ".

4. عرض مسائل النَّحو وأقوال النَّحويين واللُّغويين:

جاء في اللوحة [أ,270]كما في قوله سبحانه: "﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾" أي: ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل فتهتدون، فحذف مفعول شاء لدلالة الجواب عليه، فإنه لما قيل

لو شاء علم السّامع أن هناك مشيئاً تعلقت به المشيئة لكنه مبهم، فلما جيء بجواب الشّرط صار مبيّناً وهذا أوقع في النفس.

5. الاستدلال بالشّعر تدعيماً للشّروح اللغوية والنَّحوية للآيات القرآنية:

جاء في اللوحة [أ,279]في فتفسير فقوله فتعالى: ف"﴿أَوْ فيَأْخُذَهُمْ فعَلَى فتَخَوُّفٍ﴾" **ف1**؛ ف"أي فعلى فمخافة فبأن فيهلك فقوماً فقبلهم ففيتخوّفوا ففيأتيهم فالعذاب فوهم فمتخوّفون، فابن فعباس فوغيره فعلى فتنقص فبأنْ فينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته، وروى أنّ عمر رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون فيها فسكتوا، فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا، التخوّفُ: النّقصُ، فقال: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها، قال: نعم"، قال شاعرنا أبي كثير يصفُ ناقته:

"تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تامِكاً قَرِداً كمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ".

6. عرض المسائل الصَّرفية في شرح الآيات القرآنية:

جاء في اللوحة [أ,283] حيث ظهر ذلك في تفسير قوله تعالى عن الأنعام: "﴿**مِمَّا فِي بُطُونِهِ**﴾" فقال: إنَّما ذُكرَ الضَّميرُ ووحَّده هنا وأنَّثه في المؤمنينَ للمعنى، فإن الأنعامَ اسم جمعٍ ولذلكَ عدَّ سيبويه في المفرداتِ المبنيَّة على أفعالً كأحلافٍ وأكياسٍ، قالَ سيبويه: والعربُ تخبرُ عن الأنعامِ بخبرِ الواحدِ، قال ابن العربي : وما أراهُ عوَّل عليه إلا من هذهِ الآية، وهذا لا يشبهُ منصبهُ ولا يليقُ بإدراكهِ، وقيلَ: لما كان

1 "سورة النحل: 16 / 47."

لفظُ الجمعِ وهو اسمُ الجنسِ يُذكَّرُ ويؤنَّثُ فيقالُ: هو الأنعامُ: وهي الأنعامُ جازهُ عودُ الضَّميرِ بالتَّذكيرِ، وقالَ الكسائيّ: معناهُ ممَّا في بطونِ ما ذكرنا فهو عائدٌ على المذكورِ.

7. تدعيم التَّفسير بشروح البلاغة:

جاء في اللوحة [أ,280] وذلك في تفسير قوله تعالى: "﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾" ذكرَ العددَ مع أن ذِكرَ المعدودِ يدلُّ عليهِ لإفادةِ أنَّ النَّهيَ عن اتِّخاذِ إلهينِ إنَّما هوَ لمحضِ كونِهما اثنينِ فقط، وإيماناً بأنَّ الاثنينيَّة تُنافي الأُلوهيَّة، وقيلَ: المعنى لا تتَّخذوا اثنَين إلهين، وقيلَ: اثنين توكيدٌ، ولما كانَ الإلهُ الحقُّ لا يتعدَّدُ، وإنَّ كلَّ من يتعدَّدُ فليسَ بإلهٍ اقتصرَ على ذكرِ الاثنين؛ لأنَّه قصدَ نفيَ التَّعدُّدِ.

8. عرض المسائل الفقهيَّة في شرح الآيات القرآنيّة:

جاء في اللوحة [أ,268] في كثير من المواضع منها ماذكره في تفسيره لقوله تعالى "﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ**﴾" عطفٌ على الأنعامِ "﴿**لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾" أي: لتركبوها ولتزيَّنوا بها زينةً، وقيلَ: هيَ معطوفةٌ على محلِّ لتركبوها ، وتغييرُ النَّظْمِ؛ لأنَّ الزِّينة بفعلِ الخالقِ، والركوبُ ليسَ بفعلهِ، ولأنَّ المقصودَ من خلقِها الرُّكوبُ، وأما التَّزينُ بها فحاصلٌ بالعرضِ ، قال مالك : قالَ اللهُ تعالى: (**والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةٌ**) فجعلَها للرُّكوبِ والزِّينةِ ولم يجعلها للأكلِ، ولهذا قالَ أصحابُه: لا يجوزُ أكلَ لحومِ الخيلِ، وبه قالَ أبو حنيفةَ، وقالَ الفقهاءُ والمحدِّثين: هي مباحةٌ.

1.3. المبحث الثالث: وصف النُّسخ الخطية للكتاب ومنهجي في التحقيق

1.3.1.المطلب الأول: وصف النُّسخ الخطية

- **النُّسخة الأولى : نسخة مكتبة (راغب باشا) في تركيا**

اسم المؤلف: محمّد بن عبد الرحمن المصري المقدسي الشافعي، المتوفي سنة (893هـ).

الرقم: (91 . 92 . 93 . 94).

عدد اللوحات: 34 لوحة، وتبدأ من اللوحة 266 وتنتهي باللوحة 301، وهو النص المحقق في هذه الدراسة.

نوع الخط: ثلث واضح.

اسم الناسخ: محمّد بن الخراط.

تاريخ النسخ: 1050هـ.

وصف النسخة: نسخة تامة في أربع مجلدات، وتمتاز بوضوح الخط، وقد اعتمدت عليها، وذلك لوضوح الخط، وقربها من عصر المؤلف وجعلتها النسخة الأصل(النسخة الأم) ورمزت لها بالرمز (أ).

- **النسخة الثانية: نسخة (المكتبة الأزهرية) في مصر**

اسم المؤلف: محمّد بن عبد الرحمن المصري المقدسي الشافعي، المتوفى سنة (893هـ).

الرقم: خصوصي: (31)، عمومي: (438) تفسير.

عدد اللوحات: 40 لوحة.

اسم الناسخ : مجهول.

تاريخ النسخ: مجهول.

وصف النسخة: نسخة تامة واضحة لا سقط فيها، ورمزت لها بالرمز (ب).

- **توجد نسخة ثالثة أرفقت صورة غلافها لكنها نسخة مفقودة.**

1.3.2.المطلب الثاني: منهج التَّحقيق

أما حول منهج الباحث في تحقيق مخطوط أبي حامد المقدسيّ الشافعيّ في تفسير سورة النَّحل: فقد قام على التوفيق بين النّسختين: النّسخة الأصل (نسخة مكتبة راغب باشا) في تركيا، وبدأت من اللوحة ٢٦٦ وإلى اللوحة ٣٠١، والنّسخة الثانية (نسخة المكتبة الأزهرية)، والمقابلة بينهما بدقّة، وما يأتي تفصيل للمنهج المتّبع في هذه الدّراسة:

1 ـ نسخ الباحث المخطوط مراعياً قواعد الإملاء، وما تتضمنه ضوابط رسم الألف والهمزات، وإعادة كتابة الأحرف المحذوفة.

2 ـ قابلت ما نسخته عن نسخة (**راغب باشا**) مبرزاً مواضع الفرق بين النّسختين، ومثبتاً ما رأيته يدعم دلالةً أو يقوّم لفظاً أو جملةً، وهو ما وضعته بين قوسين ( ) ،وقد استخدمت [أ/ ....] لليمين من اللوحة و [ب/...] لليسار من اللوحة.

3 ـ تخريج الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها، ثم ذكر اسم السّورة، وتسلسلها في المصحف، ورقم الآية.

4 ـ تخريج ما أورده أبو حامد المقدسيّ من الأحاديث النّبويّة، وعزوها إلى كتب الحديث وتوثيقها من كتب الصّحاح والسُّنن والحكم عليها.

5. توثيق أقوال الصحابة، والتابعين، والمفسّرين، والفقهاء، والمحدّثين، واللغويين من مصادرها.

6. نسبت الأشعار إلى قائليها استناداً إلى الدّواوين، فإن لم يكن للشّعر ديوان فنسبته إلى مصادره من كتب الأدب.

7 ـ ترجمت الأعلام ترجمة موجزة عند ذكرها في الدراسة لأول مرّة فقط، ولم أترجم للمشهورين منهم.

نماذج من المخطوط

اللوحة الأولى الخاصة بسورة النحل من نسخة راغب باشا (أ)

ملاحظة مهمة بعد تدقيق الأرقام اتضح للباحث رقمها 266 بعدما دقق الباحث باقي اللوحات وتسلسها

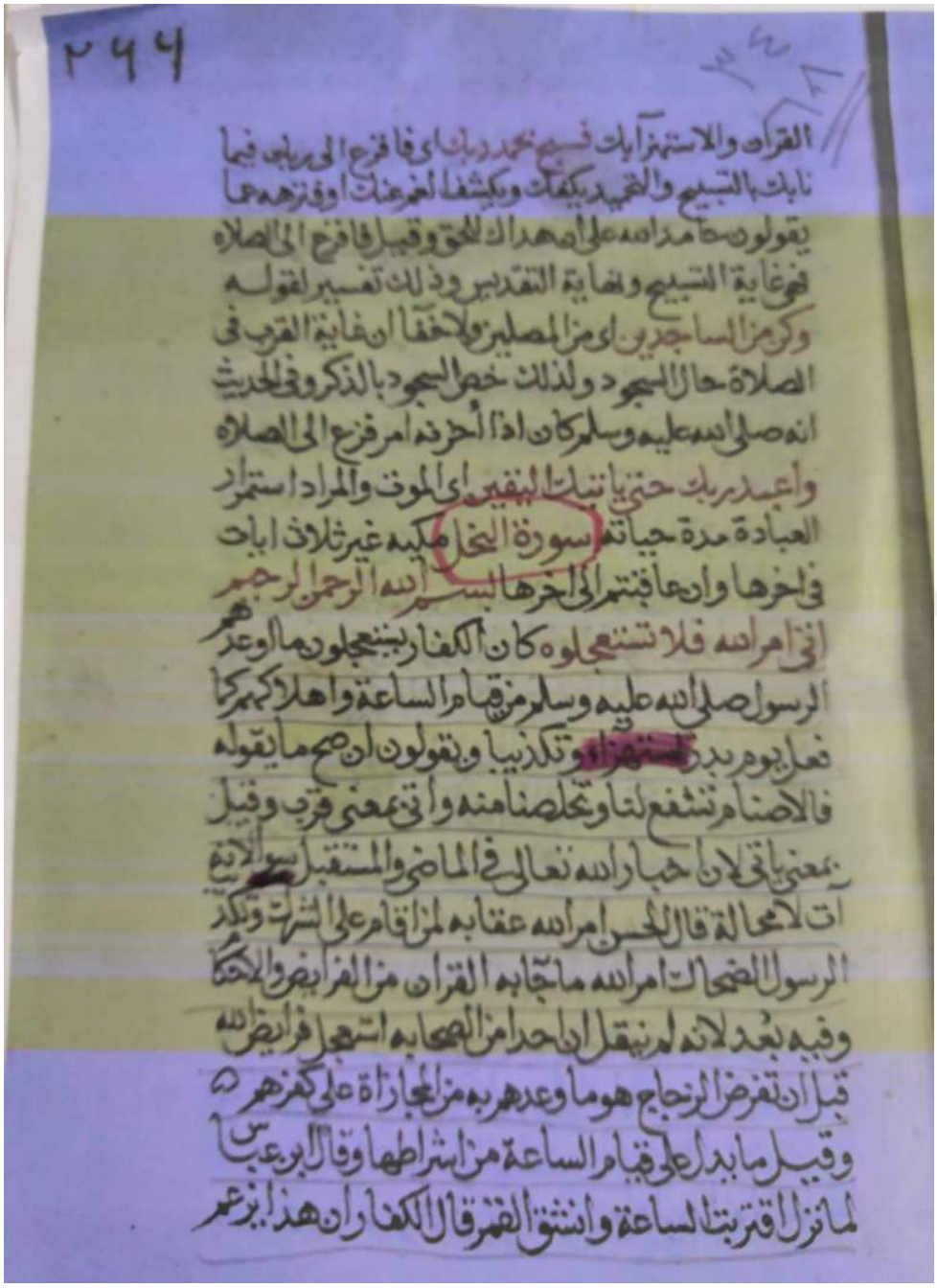

اللوحة الأخيرة الخاصة بسورة النحل من نسخة راغب باشا (أ)

في هذه الاية عقوبة والعقوبة حقيقة انما هي الثانية وانما
فعل ذلك ليستوي اللفظان وهو بعكس ومكروا ومكر الله فان الثاني
هو المجاز والاول هو الحقيقة قاله ابن عطية ولئن صبرتم لهو خ
اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمتقين ثم صرح بالامر به
لرسوله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس لزيادة علمه بالله
فقال واصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته ولا
تحزن عليهم اي على الكافرين او على قتلى احد وما فعل بهم فانهم
صاروا الى رحمة الله ولا تك في ضيق مما يمكرون اي في ضيق
صدر من مكرهم وقرئ بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول
والقيل وقال الفراء الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون
في الذي تتسع ويضيق كالدار والثوب ان الله مع الذين اتقوا
المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع
الذين اتقوا بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على
خلقه قيل لهرم بن حيان عند موته اوصنا قال اوصيكم
باخر سورة النحل سورة الاسراء عليه الاوراد والبستغفرون
وقوله وقل رب ادخلني مدخل صدق وقوله ان ربك احاط بالناس
لبسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا سبحان اسم موضوع موضع المصدر بمعنى التسبيح وهو
غير متمكن لانه لا يجري بوجوه الاعراب ولا يدخل عليه الالف
واللام ولم يجئ منه فعل ولم ينصرف لان في اخره زائدتين خ
والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه لا من

اللوحة الأولى الخاصة بسورة النحل من النسخة الأزهرية (ب)

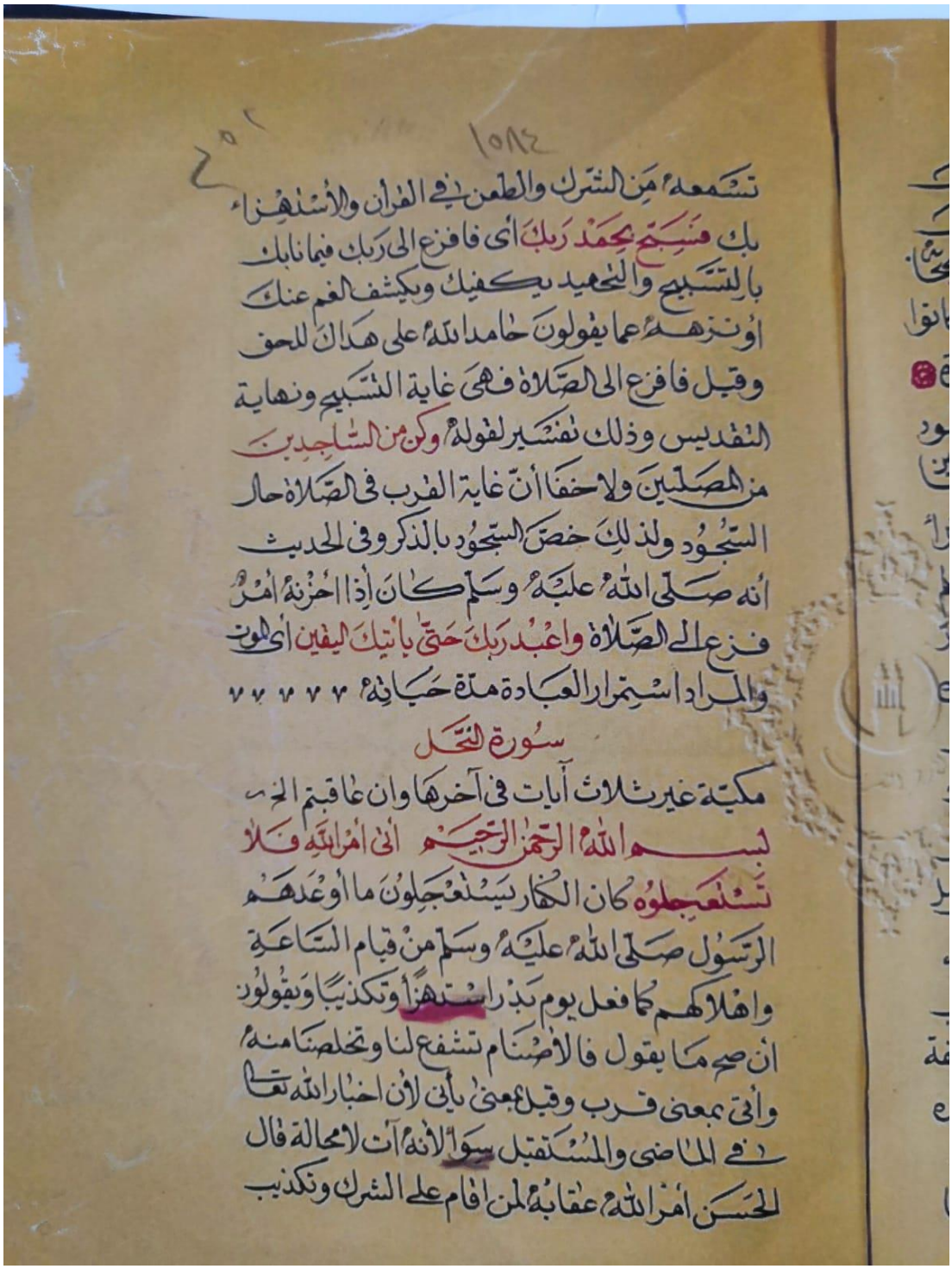

تسمعه من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء
بك فسبح بحمد ربك أي فافزع الى ربك فيما نابك
بالتسبيح والتحميد يكفيك ويكشف الغم عنك
أو تنزهه عما يقولون حامدا لله على هداك للحق
وقيل فافزع الى الصلاة فهي غاية التسبيح ونهاية
التقديس وذلك تفسير لقوله وكن من الساجدين
من المصلين ولا خفا أن غاية القرب في الصلاة حال
السجود ولذلك خص السجود بالذكر وفي الحديث
انه صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزنه أمر
فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت
والمراد استمرار العبادة مدة حياته ٧٧٧٧٧

سورة النحل

مكية غير ثلاث آيات في آخرها وان عاقبتم الخ
بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا
تستعجلوه كان الكفار يستعجلون ما أوعدهم
الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة
واهلاكهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون
ان صح ما يقول فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه
وأتى بمعنى قرب وقيل بمعنى يأتي لأن اخبار الله تعالى
في الماضي والمستقبل سواء لأنه آت لا محالة قال
الحسن أمر الله عقابه لمن اقام على الشرك وتكذيب

اللوحة الأخيرة الخاصة بسورة النحل النسخة الأزهرية (ب)

وفي الفعل وهما لغتان كالقول والقيل وقال الفراء الضيق ما ضاق
عنه صدرك والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق كالدار
والثوب ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون
في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا بتعظيم امره والذين هم
يحسنون بالشفقة على خلقه قيل لهرم بن حيان عظني موعظة
اوصنا قال اوصيكم بآخر سورة النحل ٧ ٧ ٧ ٧ ٧ ٧ ٧

سورة الإسرى

مكية الا وان كادوا ليستفزونك وقوله وقل رب ادخلني مدخل
صدق وقوله ان ربك احاط بالناس بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم موضوع موضع
المصدر بمعنى التسبيح وهو غير ممكن لانه لا يجري بوجوه الاعراب
ولا يدخل عليه الالف واللام ولم يجئ منه ولم يتصرف لان
في آخره زائدتين والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل
الذي من معناه لا من لفظه وذلك مثل قعد القرفصاء واشتمل الصماء
فالتقدير عنده انزه الله تنزيها فوقع سبحانه مكان تنزيها
ومعناه البراءة من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح
لغيره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى
وسرى بمعنى وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار
من آخره وقوله بعبده قال العلماء رضي الله عنهم لو كان للنبي
صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه سماه به في هذه
الحالة العلية ولم لا نصب على الظرف وتنكيره للدلالة على

تقليل مدة الاسراء من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه
الصلاة والسلام قال بينما انا في المسجد الحرام في الحجر عند
البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل المعنى
من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد ولانه يحيط به
وقيل غير ذلك وروى الصحيح عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق
الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبيا
ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة قال ثم عرج بي الى السما وذكر الحديث وفي رواية انه صلى
الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا
فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل
النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا
فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى
رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه
على ذلك فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
واستثبته طائفة سافروا فقالوا اخبرنا عن عيرنا اين لقيتها
فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال لقيتها بمكان كذا وكذا
قالوا اخبرنا متى تاتينا العير قال تاتيكم يوم كذا قالوا اية
ساعة قال ما ادري طلوع الشمس من هاهنا فقال رجل

اللوحة الأولى من مخطوط تفسير المقدسي للقرآن الكريم نسخة المكتبة الأزهريّة [ب]

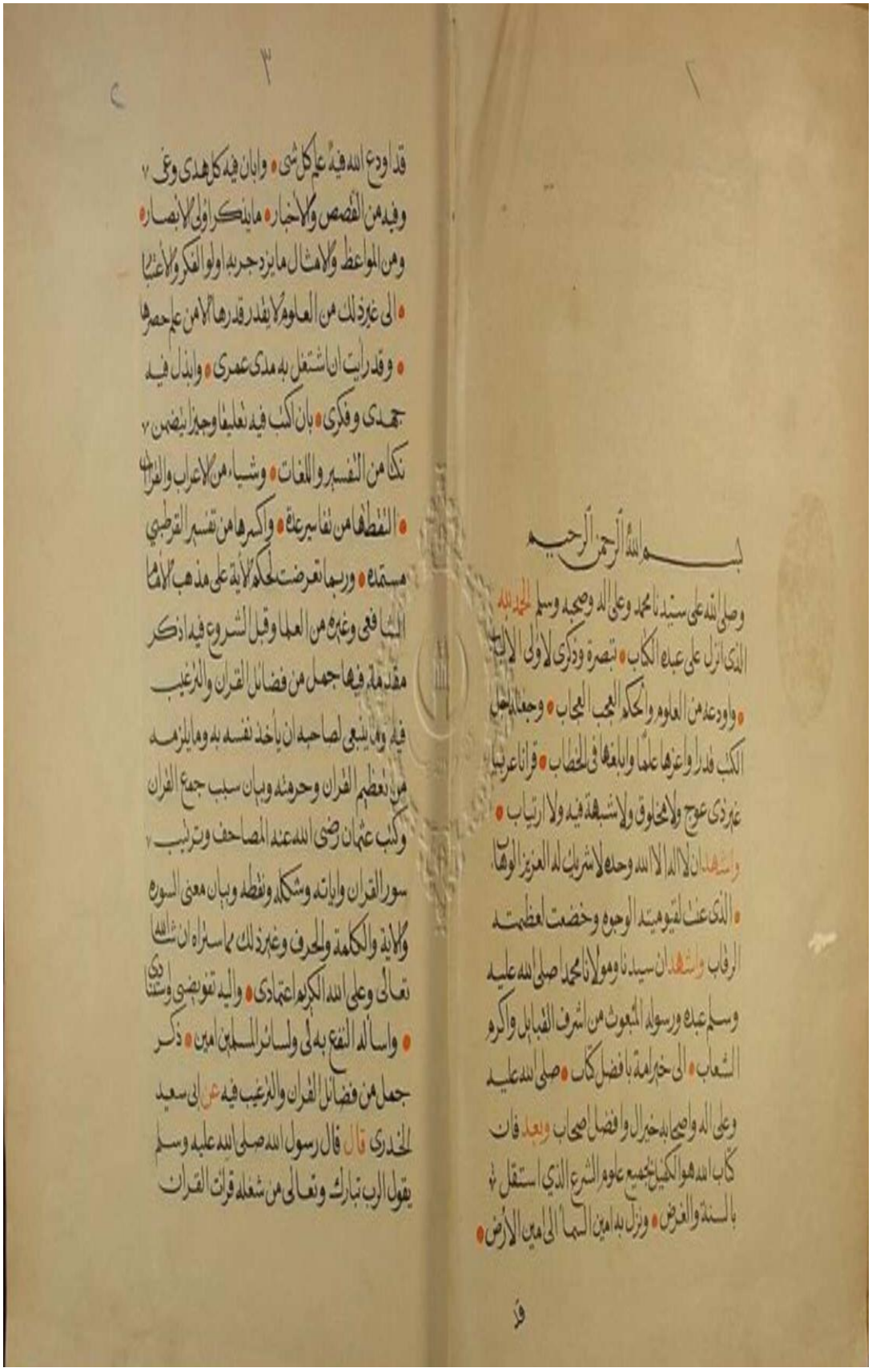

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الحمد لله
الذي انزل على عبده الكتاب • تبصرة وذكرى لاولى الالباب
• واودعه من العلوم واحكم العجب العجاب • وجعله على
الكتب قد راعزها علما وابلغها في الخطاب • قرانا عربيا
غير ذي عوج ولا مخلوق ولا شبهة فيه ولا ارتياب •
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له العزيز الوهاب
• الذي عنت لقيوميته الوجوه وخضعت لعظمته
الرقاب واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه
وسلم عبده ورسوله المبعوث من اشرف القبائل واكرم
الشعاب • الى خير امة بافضل كتاب • صلى الله عليه
وعلى آله واصحابه خير آل وافضل اصحاب • وبعد فان
كتاب الله هو الكتاب الجامع لعلوم الشرع الذي استقل به
بالسنة والفرض • ونزل به امين السما الى امين الارض •

قد اودع الله فيه علم كل شئ • وابان فيه كل هدى وغى
وفيه من القصص والاخبار • ما ينكر اولى الابصار •
ومن المواعظ والامثال ما يزدجر به اولو الفكر والاعتبار
• الى غير ذلك من العلوم لا يقدر قدرها الا من علم حصرها
• وقد رايت ان اشتغل به مدى عمري • وابذل فيه
جهدي وفكري • بان اكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن
نكتا من التفسير واللغات • وشيا من الاعراب والقراءات
• التقطها من تفاسير ائمة • واكثرها من تفسير القرطبي
مستملي • وربما تعرضت لحكم الاية على مذهب الامام
الشافعي وغيره من العلما وقبل الشروع فيه اذكر
مقدمة فيها جمل من فضائل القران والترغيب
فيه وما ينبغي لصاحبه ان ياخذ نفسه به وما يلزمه
من تعظيم القران وحرمته وبيان سبب جمع القران
وكتب عثمان رضي الله عنه المصاحف وترتيب
سور القران واياته وشكله ونقطه وبيان معنى السورة
والاية والكلمة والحرف وغير ذلك مما سنراه ان شاء الله
تعالى وعلى الله الكريم اعتمادي • واليه تفويضي واستنادي
• واساله النفع به لي ولسائر المسلمين امين • ذكر
جمل من فضائل القران والترغيب فيه عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قرائة القران

صورة لغلاف النُّسخة الثَّالثة: وهي نسخة مفقودة .

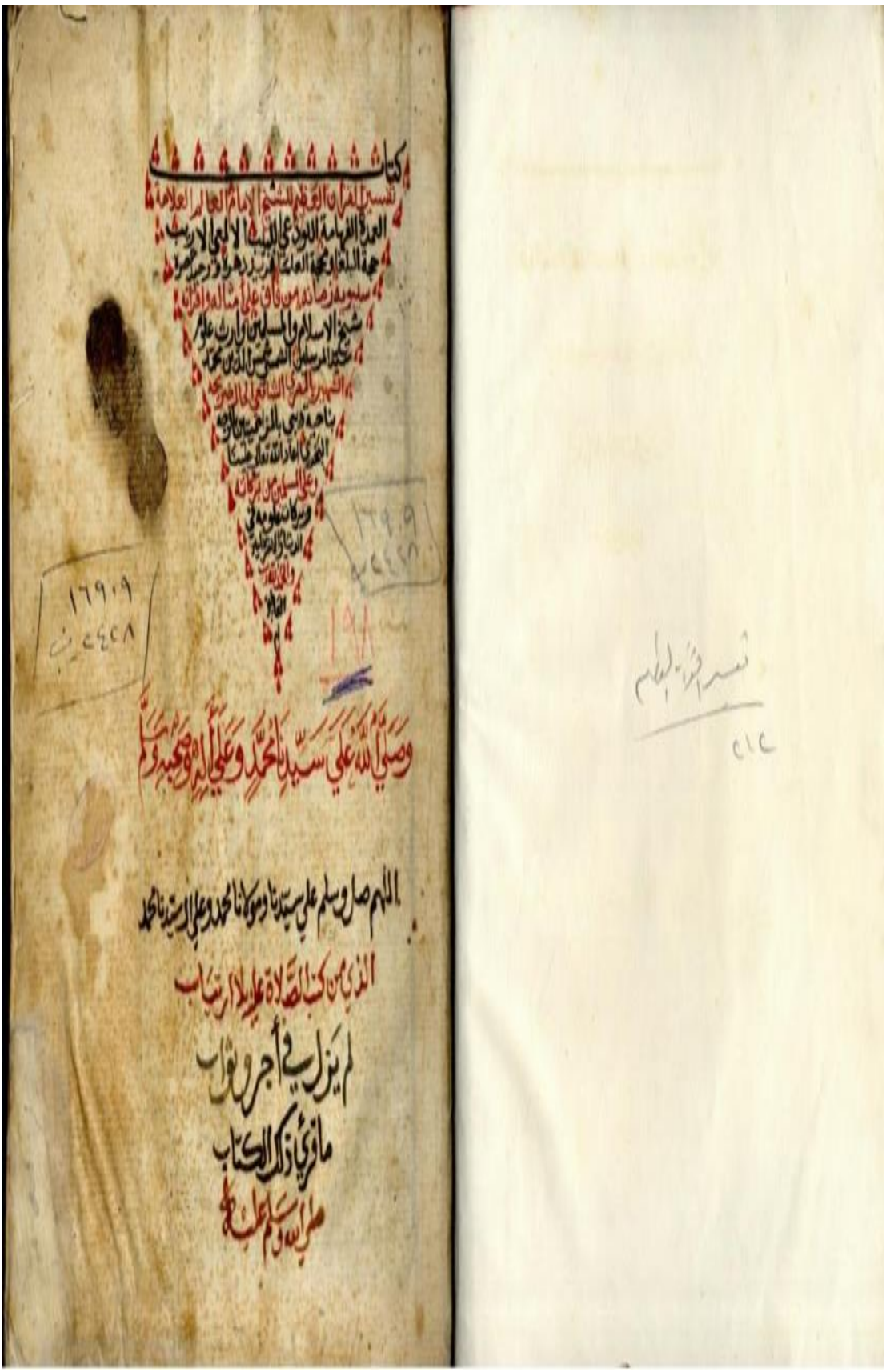

الفصل الثَّاني: النّصُّ المحقَّق

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

سورة النّحل "مكيةٌ غيرَ ثلاثِ آياتٍ في آخرها: وإن عاقبتم إلى آخرها"[1] "﴿**بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ**﴾" "﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾"[2]، كانَ الكفَّارُ يستعجلونَ ما وعدهم النَّبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم من قيامِ السَّاعةِ وإهلاكهم ،كما فعلَ يومَ بدرٍ استهزاءً وتكذيباً، ويقولون: إن صحَّ ما يقولهُ، فالأصنام تشفعُ لنا، وتخلِّصنا منهُ، وأتى بمعنى قَرُبَ، وقيل: بمعنى يأتي؛ لأن إخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء لأنَّه آتٍ لا محالةَ"[3]. "قال الحسنُ[4]: أمرَ اللهُ عقابه لمن أقام على الشَّرك، وتكذيبِ الرَّسولِ، الضَّحاك[5]: أمر الله؛ ما جاء به القرآنُ من الفرائضِ والأحكام، وفيه بعد؛ لأنه لم يُنقل أن أحداً من الصَّحابةِ استعجلَ فرائضَ الله قبل أن تُفرض"[6] . "الزَّجَّاج : هو ما وعدهم به من المجازاةِ على كفرهم، وقيل: ما يدلُّ على قيامِ السَّاعة من أشراطها"[7]، "وقال ابنُ عباس: لما نزلَ اقتربتِ السَّاعةُ وانشقَّ القمرُ، قال الكفارُ: إن هذا يزعم[ب / 266] أنَّ القيامةَ قد قربتْ فأَمسكوا عن بعضِ ما كنتم تعملونَ،

---

1 "سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية. ينظر: ناصر الدّين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمّد الشيرازي البيضاوي . *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمّد عبدالرحمن المرعشلي، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط .1، 1418 هـ)، 3/ 219 ."

2 سورة النحل: 16 /1

3 "أبو العباس أحمد بن محمّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (مصر: القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، ط.1، 1419هـ)، 3/ 107".

4 "يوسف بن عبدالله ابن سلام وهو رجل من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وسلامه. ينظر: أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد، *الطبقات الكبرى*، تح: محمّد عبد القادر عطا، ط. 1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ-1990م)، 2/267."

5. "الضحاك بن مزاحم البلخي الخرساني، أبو القاسم مفسر كان يؤدب الأطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاث آلاف صبي، قال الذهبي :كان يطوف عليهم على حمار، وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم)، له كتاب في (التفسير)، توفي بخرسان. الزركلي، *الأعلام*، 3/ 215."

6 الصوفي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، 3/ 108.

7 "الصوفي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، 3/ 108. "

فأمسكوا وانتظروا فلم يرَوا شيئاً، فقالوا: ما نرى شيئاً فنزلَ اقتربَ للنَّاس حسابُهم فأشفقوا وانتظروا قربَ السَّاعة، فامتدت الأيَّامُ فقالوا: ما نرى شيئاً، فنزلَ أتى أمر الله، فوثب رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم والمسلمون وخافوا، فنزل. (فلا تستعجلوه) أي: لا تطلبوهُ قبل حينهِ، فإنَّه واقعٌ لا محالةَ فاطمئنُّوا"[1]،فقالَ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: "بعثتُ أنا والسَّاعة كهاتين، وأشارَ بأصبعيهِ السَّبابة والتي تليها، يقولُ: إن كادت لتسبقني فسبقتها[2]"[3]" "﴿**سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾"[4] "أي: تنزيهٌ لهُ عمَّا يصفونهُ من أنَّه لا يقدرُ على قيامِ السَّاعة، وذلك أنهم يقولون: لا يقدرُ أحدٌ على بعثِ الأمواتِ، قُرئ يشركون بالياءِ خطاباً للمؤمنين أو لهم ولغيرِهم، وقُرئ بالتَّاء على وفقِ فلا تستعجلوه"[5]. "﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ**﴾"[6] أي: جبريلَ "﴿**بِالرُّوحِ**﴾"[7] "أي: بالوحيِ أو بالقرآنِ فإنَّهُ تحيا بهِ القلوبُ الميتةُ بالجهلِ، أو يقوم في الدِّين مقامَ الرُّوح في البدنِ، وذكرهُ عقيبَ ذلك إشارةً إلى الطَّريقِ الذي علم به الرَّسول ما حقَّقَ موعدهم به، ودنوّهِ، وإزاحةً لاستعبادهم، اختصاصُه بالعلمِ به"[8] "﴿**مِنْ أَمْرِهِ**﴾"[9] "أي بإرادته. "ابن عباس: بالوحيِ بالنُّبوَّة، وقيلَ: بأرواحِ الخلقِ، مجاهد: لا ينزلُ ملكٌ إلّا ومعُه روح، وقيلَ: بالرَّحمةِ، قاله الحسنُ وقتادة وقالَ أبو

---

1 "أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدّين النسفي ، .*تفسير النسفي* (*مدارك التنزيل وحقائق التأويل*) .تح . يوسف علي بديوي راجعه وقدمه له : محي الدّين ديب مستو، (لبنان: بيروت، دار الكلم الطيب، ط.1، 1419 هـ.1998 م)، 202/2 ".

2 "أحمد بن حنبل، *المسند*، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)، 348/6، برقم 22997. قال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. "

3 "أبو العباس القرطبي ضياء الدّين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي (ت: 578هـ)، اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، (سوريا: دمشق، دار النوادر، ط.1، 1435هـ/ 2014م)، 5/ 59، (2858) ".

4 سورة النحل: 16 /1

5 الصوفي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، 3/ 109.

6 سورة النحل: 2/16 .

7 سورة النحل: 2/16 .

8 " أبو عبدالله ، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*. تح .أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط.2، 1384 هـ /1964 م)، 10 / 67. "

9 سورة النحل: 2/16 .

عبيدة[1]: الرُّوحُ هنا: جبريل والباءُ بمعنى مع"[2]."﴿**عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾" أن يتَّخذَ رسولاً "﴿**أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾" أي: بأن أنذروا خوِّفوا المشركينَ بالعذابِ وأعلموهم أنَّه لا إلهَ إلا أنا [أ / 267] "﴿**فَاتَّقُونِ**﴾"[3] "تحذيرٌ من عبادةِ الأوثانِ، وقوله: فاتقونِ رجوعٌ إلى مخاطبتهم بما هو المقصودُ، "والآيةُ تدلُّ على أنَّ نزولَ الوحي بواسطةِ الملائكةِ، وأنَّ حاصلهُ التنبيهُ على التَّوحيدِ الذي هوَ منتهى كمالِ القوَّةِ العلميَّة، والأمرُ بالتَّقوى الذي هو أقصى كمالاتِ القوَّة العلميّة[4]، وأنَّ النُّبوَّة عطياته[5]، والآياتُ التي بعدها تدلُّ على وحدانيته من حيث إنَّها تدلُّ على أنَّه تعالى هو الموجدُ لأصولِ العالمِ وفروعهِ على وفقِ الحكمةِ، ولو كانَ له شريكٌ لقدرَ على ذلك فيلزمُ التَّمانعُ"[6]"﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾" أي: أوجدها على مقدارٍ وشكلٍ وأوضاعٍ وصفاتٍ مختلفةٍ قدَّرها وخصَّصها بحكمته "﴿**تعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾"[7] من هذهِ الأصنامِ التي لا تقدرُ على خلقِ شيءٍ"﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾" من جمادٍ لا حسَّ بها، ولا حراك سيّالة "﴿**فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ**﴾" أي منطقٌ يجادل "﴿**مُبِينٌ**﴾"[8] للحُجَّة، أو خصيمٍ مكافحٍ لخالقهِ قائلاً: من يحيي العظام وهي رميم، روي أنَّ أُبيّ بن خلف[9] أتى النَّبي

---

1 "عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابيّ، أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، قال ابن عساكر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة.وكان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة. وهو من السابقين إلى الإسلام. وشهد المشاهد كلها . الزركلي، *الأعلام*، 252/3 ".

2 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10 / 67".

3 سورة النحل ،2/16 .

4 ورد في النسخة (ب) عبارة (والأمر بالتقوى كمالات القرآن) .

5 "في أنوار التنزيل،219/3، عطائية".

6 "البيضاوي، أنوارر التنزيل، 219/3)". أبو عبدالله ، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*. تح .أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط.2، 1384 هـ /1964 م)، 10 / 67. "

7 سورة النحل: 16 /3.

8 سورة النحل: 16/ 4 .

9 "أبي ابن خلف الجمحي كان من صناديد قريش وشجعانهم في الجاهلية ، أدرك الأسلام ولم يسلم . قتله رسول الله صل الله عليه وسلم يوم أحد وهو أخو أمية بن خلف . البغدادي، *الطبقات الكبرى*، 35/2 ".

صلَّى الله عليهِ وسلَّم بعظمٍ رميمٍ، وقال: يا محمّدُ أترى اللهَ يُحيي هذا بعد ما رَمَّ؟ فنزلت" [1]، فمعنى الكلامِ التعجّبُ من الإنسان. "إن قيل: إنّ الفاءَ تدلُّ على التَّعقيبِ، وكونهُ خصيماً لا يكون عقيبَ خَلْقهِ نُطفة. فجوابهُ من وجهين: أحدهما: أنَّه إشارةٌ الى ما يؤولُ حاله إليه، فأجرى المنتظرَ مجرى الواقعِ، وهو من بابِ التَّعبيرِ بآخرِ الأمرِ عنْ أوّله،[2] كقوله: "﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾"[3]أي سببُ الرِّزق؛ وهو المطر، والثَّاني: أنَّه إشارةٌ إلى سرعةِ نسيانهِ مبدأ خلقهِ "[4]،وقيل:"المعنى خلقهُ من مَنيّ إلى أن صيَّره قويّاً شديداً فإذا هو خصيم"[5][ب/٢٦٧] "﴿**وَالْأَنْعَامَ**﴾" الإبلَ والبقرَ والغنمَ، وانتصابها بمضمرٍ يفسِّره "﴿**خَلَقَهَا لَكُمْ**﴾" "أو بالعطف على الإنسانِ، وخلقها لكم بيانُ ما خلقَ لأجلهِ وما بعده تفصيلٌ له"[6] "﴿**فِيهَا دِفْءٌ**﴾" "أي: سخانةٌ، وهو ما يُدفّأ به، وينفي البردَ من الأكسية والأرديةِ من أشعارها وأصوافها، وقيل: دفئُها نسلها، وفي الصِّحاح: الدفءُ نتاجُ الإبلِ وألبانها، وما ينتفع به منها"[7]"﴿**وَمَنَافِعُ**﴾" نسلُها ودرُّها وظُهورها"﴿**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾"[8] "أي تأكلون؛ ما يُؤكلُ منها من اللّحومِ والشُّحومِ والأسمانِ والألبانِ، وتقديمُ الظَّرفِ للمحافظةِ على رؤوسِ الآية، أو لأنَّ الأكلَ منها هو المعتمدُ والمعتادُ عليه في المعاش، وأما الأكلُ من سائرِ الحيواناتِ المأكولةِ فعلى سبيلِ التَّداوي والتَّفكُّهِ"[9]، وقيل: أفردَ منفعةَ الأكلِ بالذِّكرِ؛ لأنَّه معظمُ

---

1 "أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، (السعودية: جدة، دار التفسير، ط.1، 1436هـ/ 2015م)، 22/ 310. "

2 " محي الدّين بن أحمد مصطفى درويش ، *إعراب القرآن وبيانه*، (سوريا: حمص، دار الإرشاد للشئون الجامعية، ط.4، 1415هـ)، 5/ 269. "

3 سورة غافر، 13/40.

4 "عبد الله بن البقاء العكبري، *التبيان في إعراب القرآن*، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)،78/2".

5 "المحلي، السيوطي، *تفسير الجلالين*، 346".

6 " إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء ، *روح البيان*، (لبنان: بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ن)، 5/11".

7 " درويش، *إعراب القرآن وبيانه*، 5/ 271. "

8 سورة النحل: 16 / 5 .

9 "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 220/3."

منافعها، أو المعنى من لحومها تأكلونَ عند الذَّبحِ"[1]"﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ**﴾": أي: زينةٌ والجمالُ ما يُتجمَّلُ به "﴿**حِينَ تُرِيحُونَ**﴾" أي: "تردّونها من مراعيها الى مراحِها بالعِشاء"[2] "﴿**وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾"[3]"تخرجونها بالغداة إلى المرعى، فإنّ الأنعامَ[4] فيه تتزيَّن بها في الوقتين، وتقديم الإراحة؛ لأنَّ الجمالَ فيها أظهرُ، فإنَّها تُقبلُ ملأى البطونِ حاقلةَ الضُّروع، ثم تأوي إلى الحظائرِ حاضرةً لأهلها"[5]. "قالَ العلماءُ: والجمالُ يكونُ في الصُّورة وتركيبِ الخِلقةِ، ويكونُ في الأخلاقِ الباطنةِ، ويكونُ في الأفعالِ، فأمَّا جمالُ الخِلقةِ، فهو أمرٌ يدركهُ البصرُ، ويلقيهِ إلى القلبِ متلائماً، فتتعلقُ به النَّفسُ من غير معرفةٍ بوجهِ ذلك، ولا نسبتهِ [أ/ 268] لأحدٍ من البشرِ، وأمَّا جمالُ الأخلاقِ؛ فكونُها على الصِّفاتِ المحمودةِ من العلمِ، والحلمِ، والحكمةِ، والعدلِ، والعفَّة، وكظمِ الغيظِ، وإرادةِ الخيرِ لكلِّ أحدٍ، وأمَّا جمالُ الأفعالِ فهو وجودُها ملائمةً لمصالحِ الخلقِ، وقاضيةً لجلبِ المنافعِ فيهم، وصرفِ الشَّرِّ عنهم، وجمالُ الأنعامِ والدَّوابِّ من جمالِ الخلقةِ، وهو مرئيٌّ بالأبصارِ، ومن جمالها كثرتُها، وقوُل النَّاس إذا رأوها: هذه نَعَم فلانٍ"[6]. "﴿**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ**﴾" أي: أحمالَكم، "والأثقالُ ما يثقلُ الإنسانَ حملُه من متاعٍ وغيرِه"[7]."﴿**إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ**﴾" ببدنكم فضلاً أن تحملُوها على ظهوركِم إليه"﴿**إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ**﴾" "إلا بمشقَّةٍ وكُلفةٍ، وشِقُّ الأنفس مشقَّتُها وغايةُ جَهدها، والشِّقُّ أيضاً: النِّصفُ. وقد يكونُ المرادُ من الآيةِ هذا المعنى، أي: لم تكونوا بالغيهِ إلا بنقصٍ من القُوَّةِ، وذهابِ شِقٍّ منها. والشِّقُّ: النَّاحيةُ من الجبلِ. والشِّقُّ: الشَّقيقُ. والشِّقُّ: اسم كاهنٍ من العربِ.

---

1 *الجامع لأحكام القرآن*، القرطبي، 70/10. "

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 220/3."

3 سورة النحل: 16 / 6.

4 "في *أنوار التنزيل*، 220/3: الأفنية. "

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 220/3."

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 71".

7 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 71."

وغيرِ ذلك، فمنَّ اللهُ سبحانه بالأنعامِ عموماً، وخصَّ الإبلَ هنا بالذِّكر في حملِ الأثقالِ على سائرِ الأنعامِ؛ فإن الغنمَ للسَّرحِ والذَّبحِ، والبقرَ للحرثِ والدَّرِّ، والإبلَ للحملِ"[1] "﴿**إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾"[2] حيث رَحمكم بخلقِها لانتفاعِكم، وتيسيرِ الأمرِ عليكم "﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ**﴾" عطفٌ على الأنعامِ[3]"﴿**لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾" "أي لتركبوها ولتزيَّنوا بها زينةً. وقيلَ: هيَ معطوفةٌ على محلِّ لتركبوها[4]، وتغييرُ النَّظْمِ؛ لأنَّ الزِّينة بفعلِ الخالقِ، والركوبُ ليسَ بفعلهِ، ولأنَّ المقصودَ من خلقِها الرُّكوبُ، وأما التَّزينُ بها فحاصلٌ بالعرضِ"[5]. "قال مالك : قالَ اللهُ تعالى: (والخيلَ [ب/268] والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةٌ) فجعلَها للرُّكوبِ والزِّينةِ، ولم يجعلها للأكلِ؛ ولهذا قالَ أصحابُه: لا يجوزُ أكلَ لحومِ الخيلِ، وبه قالَ أبو حنيفةَ. وقالَ الفقهاءُ والمحدِّثين: هي مباحةٌ، ورويَ عن أبي حنيفةَ. القُرطبيّ: والصَّحيحُ الَّذي يدلُّ عليه الخبرُ والنَّظرُ جوازُ أكلِ لحومِ الخيلِ، وأنَّ الآيةَ لا حُجَّةَ فيها لازمة؛ لأنَّها لو دلَّت على تحريمِ الخيلِ؛ لدلَّت على تحريمِ[6] الحُمُرِ، والسُّورةُ مكيَّةٌ وأيُّ حاجةٍ كانت إلى تجديدِ تحريمِ لحومِ الحمُرِ عامَ خيبر[7]، وقد ثبتَ في الأخبارِ تحليلُ الخيلِ. ولمَّا ذكرَ اللهُ الأنعامَ ذكرَ الأغلبَ من منافِعها، وأهمَّ ما فيها، وهو حملُ الأثقالِ والأكلِ، ولم يذكرِ الرُّكوبَ ولا الحرثَ بها ولا غيرَ ذلك مصرِّحاً، وقد تُركبُ ويُحرثُ بها.وقال في الخيل: (لتركبوها) فذكرَ أيضاً أغلبَ منافِعها، ولم يذكرْ حملَ الأثقالِ عليها، وقد تُحمل كما هو

---

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 71."

2 سورة النحل: 16 /7.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 219."

4 "سقطت من النسخة (ب) عبارة (لتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها) ."

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 220؛ وينظر: شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ، *حاشية الشهاب على تفسير "البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير "البيضاوي*، (لبنان: بيروت، دار صادر، د.ط، د.ن)، 5/ 312."

6 وردت في النسخة (ب) كلمة (لحوم) .

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 220."

مشاهدٌ، فلذلك لم يذكرِ الأكلَ، ولا يلزمُ من كونِها خُلقت للرُّكوب والزِّينةِ أنْ لا تؤكل. وقال في تحريمِ الخنزير أو لحمِ خنزير: لأنَّه معظمُ مقصودهِ، وقد أجمعوا على تحريمِ شحمهِ، وسائرِ أجزائهِ، وهذه البقرةُ قد أنطقها خالقُها، فقالت: إنما خُلقتُ للحرثِ. فيلزم من عَلَّل أنَّ الخيلَ لا تؤكلُ لأنها خُلقت للرُّكوب؛ أن لا تؤكل البقرُ لأنَّها خُلقت للحرثِ، وقد أجمع المسلمونَ على جوازِ أكلها، فكذلك الخيلُ بالسُّنَّةِ الثَّابتة، روى مسلمُ عن جابر:" نهى رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم يومَ خيبرَ عن لحومِ الحُمرِ الأهليَّةِ، وأذنَ في لحومِ الخيلِ"[1]. فإن قيل: الروايةُ عن جابر بأنَّهم أكلوها في خيبر [أ/269] حكاية حالٍ، وقضيَّة في عين، فيُحتمل أن يكونوا ذبحوا للضَّرورةِ، ولا يُحتجُّ بقضايا الأحوالِ. قلنا: الرِّوايةُ عن جابر كانوا يأكلونَ الخيلَ على عهدِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم يزيلُ ذلك الاحتمالَ[2]، وحديث أسماءَ قالت: "نحرنا فرساً على عهدِ رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم ونحنُ بالمدينةِ فأكلناه"رواه مسلم[3]. وكلُّ تأويلٍ من غيرِ ترجيحٍ في مقابلةِ النَّصِّ فإنَّما هو دعوى، لا يُلتفتُ إليه، ولا يعرج عليه، وأمَّا خبرُ خالدٍ في النَّهي عن أكلِ الخيلِ فقال أحمد وغيره: منكرٌ، وقال أبو داود[4]وغيره: منسوخٌ، قال الطَّبري[5]: وفي إجماعهم على جوازِ ركوبِ ما ذُكر للأكلِ دليلٌ على جوازِ أكلِ ما ذُكرَ للرُّكوبِ. وأما البِغالَ فإنَّها تلحقُ بالحُمُرِ لتولُّدها من مأكولٍ وغيرِه"[6]. وقال البيضاوي : "واستدلَّ بالآيةِ على تحريمِ لحومِ الخيلِ ولا دليل فيه، إذ لا يلزم من تعليلِ الفعلِ

---

1 "المسند الصحيح لمسلم ، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، (لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ن)، كتاب الذبائح والصيد، 24/7 ، (1941) ".

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 221."

3 "المسند الصحيح لمسلم ، 1541/3، (1942). وانظر: محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي، *صحيح البخاري*، تح: مصطفى ديب البغا، (سوريا: دمشق، دار ابن كثير، ط.5، 1414هـ/ 1993م)، كتاب الذبائح والصيد، 5/ 2099، (5192)."

4 "سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود: إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة. له (السنن ط –) جزآن، وهو أحد الكتب الستة ، ينظر: الزركلي، *الأعلام*، 122/3 ."

5 " إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم، أبو أحمد، رضيّ الدّين الطبري: شيخ مكة في عصره وإمام المقام الشريف بها. من علماء الشافعية. له كتب، منها (المنتخب في علم الحديث – خ) في الاسكوريال و (فهرست) لمروياته، و (تساعيات) في الحديث . ينظر: الزركلي، *الأعلام*، 63/1 ".

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 71 وما بعدها."

بما يُقصدُ منه غالباً أن لا يُقصدَ منه أصلاً غيره، ويدلُّ عليه أنَّ الآيةَ مكيَّةٌ، وعامَّةُ المفسِّرين والمحدِّثين على أنَّ الحُمرَ الأهليَّة حُرِّمت عامَ خيبرَ"[1]. "﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾" "من الأشياءِ العجيبةِ الغريبةِ، "ولما فصلَ الحيواناتِ التي يُحتاجُ إليها غالباً احتياجاً ضرورياً أجملَ غيرها، ويجوزُ أن يكونَ إخباراً بأنَّ لهُ من الخلائقِ ما لا علمَ لنا به، وأن يرادَ به ما خلقَ في الجنَّة والنَّارِ مما لا يخطرُ على قلبِ بشرٍ"[2]. "وقيل: من أنواعِ الحشراتِ والهوامِّ في أسافلِ الأرضِ والبرِّ والبحرِ. قتادةُ والسَّدي[3]: هو السُّوسُ في الثِّيابِ، والدُّودُ في الفاكهةِ. ابن عباس: عينٌ تحتَ العرشِ، وعنه أيضاً: عن يمينٍ من العرشِ نهرٌ من نورٍ مثلَ [ب/ 269] السَّمواتِ السَّبعِ والأرضينِ السِّبعِ والبحارِ السَّبعِ سبعين، يدخلهُ جبريلُ كلِّ سَحَرٍ فيغتسلُ، فيزدادُ نوراً على نورهِ، وجمالاً إلى جمالِه، ثم ينتفضُ، فيُخرجُ اللهُ من كلِّ ريشةٍ سبعينَ ألفَ قطرةٍ، ويُخرجُ من كلِّ قطرةٍ سبعةَ آلافِ ملكٍ، يدخلُ منهم كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملكٍ إلى البيتِ المعمورِ، وفي الكعبةِ سبعون ألفاً لا يعودونَ إليهِ إلى يومِ القيامة. ورُوي عن النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم: أن لله أرضاً بيضاءَ، مسيرةَ الشَّمسِ فيها ثلاثون، وهي مثلُ الدُّنيا ثلاثون مرَّة مشحونةً خلقاً، لا يعلمون أنَّ الله تعالى يُعصى في الأرض، قالوا: يا رسول الله من ولدِ آدم؟ قال: لا يعلمون أن الله خلقَ آدم، قالوا: يا رسولَ الله فأينَ إبليسُ منهم؟ قال: لا يعلمون أنَّ اللهَ خلقَ إبليس، ثم تلا "﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾"[4] ذكره الماوردي"[5]، وعن جابرِ بن

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 220."

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 220."

3 "إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس . ينظر: الزركلي، *الأعلام*، 317/1 ."

4 سورة النحل: 16 /8

5 "علي بن محمّد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة ، نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه أدب الدُنيا والدّين – ط و الأحكام السلطانية – ط . الدمشقي، *الأعلام للزركلي*، 327/4 . " وإسناد هذه الرواية ضعيف، قال السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ)، *المقاصد الحسنة*، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1985)،261: وأسانيدها ضعيفة.

عبدالله[1] قال: قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم: "أُذن لي أن أُحدِّثَ عن ملكٍ من ملائكةِ اللهِ من حملةِ العرشِ ما بينَ شحمةِ أذنهِ إلى عاتقهِ مسيرةَ سبعمائةِ عام[2]"[3]. "﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾" "أي: بيانٌ مستقيمُ الطَّريقِ الموصلِ إلى الحقِّ، أو إقامةِ السَّبيلِ وتعديلها رحمةً وفضلاً أي: عليه بيانُه بالرُّسلِ والحِججِ والبراهينِ، يقال: سبيل قصدُ، وقاصدٌ أي: مستقيمٌ يؤدِّي إلى المطلوبِ، والمرادُ بالسَّبيلِ الجنسَ، ولذلك أضافَ إليه القصد"[4]، وقال: "﴿**وَمِنْهَا**﴾" أي: ومن السَّبيلِ "﴿**جَائِرٌ**﴾" "أي:حائدٌ عن المقصدِ، أو عن اللهِ. وقيلَ: المعنى: ومنهم جائرٌ عن سبيلِ الحقِّ، أي: عادلٌ عنه فلا يهتدي إليهِ، وفيه قولان: أحدهما: أنَّهم أصحابُ الأهواءِ المختلفةِ؛ قاله ابن عباس. وقيل: لملِ الكفرِ من اليهوديَّةِ والمجوسيَّةِ والنَّصرانيَّةِ. وقيلَ: المعنى وعنها جائرٌ،أي: عن السَّبيل [أ/ 270]فمن بمعنى عن. قالَ ابنُ عباس: من أراد أن يهديهُ سهَّلَ له طريقَ الإيمانِ، ومن أرادَ أن يُضِلَّهُ ثقلَ عليهِ الإيمانَ وفروعَه. والسَّبيل تُذكَّر وتُؤنَّث، والتأنيث لغةُ أهلِ الحجازِ"[5]. "﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾"[6] أي: ولو شاءَ هدايتَكم أجمعين لهداكُم إلى قصدِ السَّبيل فتهتدون، فحذفَ مفعولَ شاءَ لدلالةِ الجوابِ عليه، فإنَّه لما قيل: لو شاءَ علمَ السَّامعُ أنَّ هناكَ مُشيئاً تعلَّقت بهِ المشيئةُ، لكنَّهُ مبهمٌ فلمَّا جيءَ بجوابِ الشَّرطِ صارَ مبيّناً، وهذا أوقعُ في النَّفسِ"[7]. "﴿**هُوَ الَّذِي**

---

1 "جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السملي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النَّبي صلّى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة ، روى له البخاري ومسلم . الزركلي، *الأعلام*, 2/ 104. "

2 "أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، *سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود*، (الهند: المطبعة الأنصارية بدهلي، د. ط، 1323هـ)، كتاب السنة، 4/ 370، (373). وإسناد هذه الراوية جيد،قال الحافظ، أحمد بن علي ابن حجر، *فتح الباري*، (بيروت: دار المعرفة، 379هـ)، 665/8، وإسناده على شرط الصحيح."

3 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 80."

4 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 82."

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 82.؛ "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 220. وينظر: محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري . تفسير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .تح: د .عبدالله بن عبد المحسن التركي، (لبنان: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع وإعلان، ط.1، د. ن)، 14 / 177."

6 سورة النحل: 16 / 9.

7 الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، 14 / 177."

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾" أي: من السَّحابِ أو من جانبِ السَّماءِ"﴿**مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾**" أي: ماءً تشربونه، ولكم صلةُ أنزلَ، أو خبرُ شراب "﴿وَ﴾" من تبعيضيه متعلقة به"﴿**وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾**" أي: ومنهُ يكونُ شجرٌ، يعني الشَّجرَ الَّذي ترعاهُ المواشي، أو كلَّ ما ثبتَ على الأرضِ شجرٌ، أو المعنى ومنهُ سقيُ الشَّجرِ"﴿**فِيهِ تُسِيمُونَ﴾**"[1] ترعونَ مواشيَكم من سامتِ الماشيةِ، وأسامُها صاحبُها "﴿**يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾**" وقُرئ بالنُّون على التَّفخيم[2]"﴿**وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾**" لعل تقديم ما يُسامُ فيه على ما يُوكلُ منهُ؛ لأنَّه سيصيرُ غذاءً حيوانياً هو أشرفُ الأغذية[3] "﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾**" المذكورِ "﴿**لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**"[4] "فيستدلونَ على وجودِ الصَّانعِ وحكمتهِ، فإنَّ من تأمَّلَ أنَّ الحبَّة تقعُ في الأرضِ، ويصلُ إليها نداوةً تقذفُ فيها فينشقُّ أعلاها، ويخرجُ منهُ ساقُ الشَّجرةِ، وينشقُّ أسفلُها فيخرجُ منه عروقُها، ثم ينمو وتخرجُ منه الأوراقُ والأزهارُ والأكمامُ والثِّمارُ، ويشتمل كلٌّ منها على أجسامٍ مختلفةِ الأشكالِ والطَّبائعِ [ب/270] مع اتِّحاد الموادِ ونسبةِ الطَّبائعِ السُّفلية، والتَّأثيراتِ الفلكيَّةِ إلى الكلِّ، عُلمَ أنَّ ذلك ليسَ إلا بفعلِ فاعلٍ مختارٍ مقدَّسٍ عن منازعةِ الأضدادِ والأندادِ فيؤمنون، ولعلَّ فصلَ الآيةِ بذلكَ لذلكَ[5]"﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾**" للسُّكونِ والمعاشِ "﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ﴾**" بأنْ هيَّأها لمنافِعكم "﴿**مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾**" "أي: مذلَّلاتٍ لمعرفةِ الأوقاتِ، ونُضجِ الزُّروع، والثِّمار، والاهتداء بالنُّجومِ، ومسخَّراتٍ حال من الجميع، أي: نَفَعكم بها حالَ كونِها مسخَّراتٍ للهِ خلقَها ودبَّرها كيفَ شاء ولما خُلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمةٍ، وفيه إيذانٌ بالجوابِ عمَّا عسى أن يقالَ أنَّ المؤثِّرَ في تكوينِ

---

1 سورة النحل: 16 /10.

2 "إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، *الموسوعة القرآنية*، (مصر: القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ط.1، 1405هـ)، 5/ 363."

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 221."

4 سورة النحل: 16 / 11.

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 221."

النَّباتِ حركاتُ الكواكبِ وأوضاعِها، فإنَّ ذلك إن سَلِم فلا ريبَ في أنَّها ممكنة الذَّاتِ والصِّفاتِ واقعةٌ على بعض الوجوهِ المحتملةِ فلابدَّ لها من موجدٍ مخصِّصٍ مختارٍ واجبِ الوجود دفعاً للدَّورِ والتَّسلسلِ، وقُرئ والنُّجومُ مسخَّراتٍ على الابتداءِ والخبرِ فيكونُ معهما تعميماً للحُكمِ بعد تخصيصهِ، وقُرئ برفعِ الشَّمسِ والقمرِ"[1]"﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾"[2] "جمعَ الآية و ذكرَ العقلَ؛ لأنَّها اقتضتْ أنواعاً من الدِّلالةِ ظاهرةً لذَوي العقولِ السَّليمةِ غير محوجةٍ إلى استيفاءِ فكرٍ كأحوالِ النَّباتِ"[3]"﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾" عطفٌ على اللّيلِ أي: وسخَّرَ لكم ما خلقَ لكم فيها منْ حيوانٍ ونباتٍ"[4]"﴿**مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ**﴾" "أي: أصنافهُ فإنَّها تتخالفُ باللَّونِ غالباً كأصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وغيرِ ذلك"[5]"﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾"[6]"إنَّ اختلافَها في الطَّبائعِ غالباً، والهيئاتِ والمناظرِ ليس إلَّا بصنعِ صانعٍ حكيمٍ"[7] "﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ**﴾" جعلهُ بحيث [أ/ 271] تتمكَّنونَ من الانتفاعِ بهِ بالرُّكوبِ والاصطيادِ والغوصِ، وهذه نعمةٌ من نعمِ اللهِ فلو شاءَ لسلَّطهُ علينا وأغرقَنا "﴿**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**﴾" "هو السَّمكُ ووصفهُ بالطَّراوة؛ لأنَّه أرطبُ اللُّحوم يسرعُ إليه الفسادُ فيسارعُ إلى أكلِه، ولإظهارِ قدرتهِ في خلقهِ خلقَهُ عذباً طريَّاً في ماءٍ عذبٍ، وتمسَّك بهِ مالكٌ والثَّوريُّ على أنّ من حلفَ لا يأكلُ لحماً حنثَ بأكلِ السَّمكِ، وأجيبُ بأنَّ مبنى الأَيمانِ على العُرفِ، وهو لا يُفهمُ منه عند الإطلاق، ألا ترى أنَّ الله تعالى سمَّى الكافرَ دابَّةً، وسمَّى الشَّمسَ سراجاً، وسمَّى الأرضَ بساطاً فلا يحنثُ الحالفُ على أن لا يركبَ دابَّةً بركوبِ الكافرِ،

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 222."

2 سورة النحل: 16 / 12.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 222."

4 إبراهيم الإبياري، *الموسوعة القرآنية*، 10/ 170."

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 222."

6 سورة النحل: 16 / 13.

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 222."

ولا الحالفُ على أن لا يجلسَ في سراجٍ بجلوسهِ في الشَّمسِ، ولا الحالفُ على أن لا ينامَ على بساطٍ بنومهِ على الأرضِ"[1] "﴿**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾" "كاللُّؤلؤِ والمرجانِ أي: تلبِسُها نساؤُكم فأسندَ إليهم؛ لأنَّهن منْ جملتهم، ولأنهنَّ يتزيَّنَّ بها لأجلهم"[2]"﴿**وَتَرَى**﴾" تبصرُ "﴿**الْفُلْكَ**﴾" أي: السُّفنَ "﴿**مَوَاخِرَ فِيهِ**﴾" "أي: جواري فيه تشقُّه بخيزومِها من المخَر وهو شَقُّ الماءِ، وقيلَ: هو صوتُ جريِ الفلكِ الحسنِ، مواخرَ مواقرَ، قتادة والضَّحاك: تذهبُ وتجيءُ مقبلةً ومدبرةً بريحٍ واحدةٍ"[3] "﴿**وَلِتَبْتَغُوا**﴾""تطلبُوا وهو عطفٌ على تأكلوا"[4] "﴿**مِنْ فَضْلِهِ**﴾"منْ سعةِ رزقهِ بركوبها للتِّجارةِ "﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾"[5]"أي: تعرفونَ نعمَ اللهِ فتقومونَ بحقِّها، ولعلَّ تخصيصَهُ بتعقيبهِ الشُّكرَ؛ لأنَّه أقوى في بابِ الأنعامِ من حيثُ أنَّه جعلَ المهالكَ سبباً للانتفاعِ وتحصيلِ المعاشِ"[6]."﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾" أي: جبالاً ثابتةً أنْ [ب/271]"﴿**أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾" "أي: كراهةَ أن تميلَ بكم وتضطربَ وذلك؛ لأنَّ الأرضَ كانت قبلَ أن يخلق فيها الجبالُ كرةً خفيفةً بسيطةَ الطَّبعِ، وكان من حقِّها أن تتحركَ بالاستدارةِ كالأفلاكِ، أو أن تتحركَ بأدنى سببٍ للتحريكِ، فلمَّا خُلقتِ الجبالُ تفاوتتْ جوانبُها، وتوجَّهتِ الجبالُ بثِقَلها نحوِ المركزِ فصارتْ كالأوتادِ التي تمنعها عنِ الحركةِ، وقيلَ: لما خلقَ اللهُ تعالى الأرض جعلتْ تمورُ فقالتِ الملائكةُ: ماهي بمقرَّةٍ أحداً على ظهرها فأصبحتْ وقد أُرسيت الجبالُ"[7] "﴿**وَأَنْهَارًا**﴾" أي: وجعل فيها أنهاراً، أو شقَّ فيها أنهارا كالنِّيلِ"﴿**وَسُبُلًا**﴾" أي: طرقاً ومسالكاً "﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾"[8]

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 222."

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3 / 222."

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 222."

4 "إبراهيم الإبياري، *الموسوعة القرآنية*، 10/ 171. "

5 سورة النحل: 16 / 14.

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 222. "

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 222. "

8 سورة النحل: 16 / 15.

لمقاصدِكم من البلادِ وغيرها، فلا تضلُّون ولا تتحيَّرون، أو إلى معرفةِ اللهِ "﴿وَعَلَامَاتٍ﴾" أي: معالمَ تستدلُّ بها السَّائلة من جبلٍ وسهلٍ وغيرها "﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾" باللَّيلِ في البراري والبحارِ، والمرادُ بالنَّجمِ الجنس، وقالَ الفرَّاء[1]: الجَدي والفرقدان، وقيل: الثُّريا، وقالَ ابنُ عبّاس: سألتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم عن قوله"[2]"﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾"[3] "قال: هو الجَدْيُ يا ابنَ عباس، عليه قِبلتكُم وبه تهتدون في بَرِّكم وبَحركم[4]، ولعلَّ الضَّمير لقريش؛ لأنَّهم كانوا كثيري الأسفارِ للتِّجارة مشهورينَ بالاهتداءِ في مَسَايرهم بالنُّجوم، وإخراجُ الكلامِ عن سُننِ الخطاب، وتقديمُ النَّجمِ واقتحامُ الضَّميرِ للتَّخصيص[5] كأنَّه قيل: وبالنَّجم خصوصاً هو لا خصوصاً يهتدونَ، فالاعتبارُ بذلكَ والشُّكرُ عليه ألزمَ لهم وأوجبَ عليهم"[6]"﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾" هوَ اللهُ "﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾"إنكارٌ بعدَ إقامةِ الدَّلائلِ المتكاثرةِ [أ/272] على كمالِ قدرتهِ، وتناهي حكمتهِ، والتَّفرُّد بخلقِ ما عدّد من مبدعاتهِ؛ لأن يساويَه، ويستحقَّ مشاركتَه ما لا يقدرُ على خلقِ شيءٍ من ذلك، بل على إيجادِ شيءٍ ما، وكانَ مقتضى الظَّاهر أفمن لا يخلقُ كمَنْ يخلقُ؛ لأنَّ الخطابَ لعبدةِ الأوثانِ الَّتي سمُّوها آلهة تشبيهاً باللهِ سبحانهُ وتعالى، لكنه عكسَ تنبيهاً على أنَّهم بالإشراك باللهِ جعلوهُ من جنسِ المخلوقاتِ العاجزة شبهاً بها، أو لأنَّهم بالغوا في عبادتِها وغلَوا حتَّى صارتْ عندهم أصلاً في العبادةِ فجاءَ الرَّدُّ على وفقِ ذلك، المرادُ بمن لا يخلقُ كلَّ من عُبد من دونِ اللهِ فغلبَ فيه أولوا العلمِ أو الأصنامِ، وأجروها مجرى أُولي العلمِ؛ لأنَّهم سمُّوها آلهَةً، ومن حقِّ

---

1 "يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو ، الزركلي، *الأعلام*، 145/8 . "

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 222."

3 سورة النحل: 16 /16.

4 "أورده الماوردي، علي بن محمد الماوردي، *النكت والعيون*، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 183/3، عن ابن عباس."

5 "سقط من النسخة (ب) عبارة (وتقديم النجم وأقتحام الضمير للتخصيص) ."

6 "ذكره الماوردي، *النكت والعيون*، 3/ 183، (89)."

الإله أن يُعلمَ، أو للمشاركةِ بينهُ وبينَ من يخلقُ، وللمبالغةِ فكأنَّه قيل أنَّ من يخلقُ ليسَ كمَنْ لا يخلقُ من أُولي العلمِ فكيفَ بمن لا علمَ عنده؟"[1] "﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾"[2] فتعرفونَ فسادَ ذلكَ فإنَّه لجلالهِ كالحاصلِ للعقلِ بأدنى تذكُّر"﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾" أي: لا تضبُطوا عددها[3] فضلاً أن تُطيقوا القيامَ بشُكرها "﴿**إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ**﴾" حيثُ يتجاوزُ عن تقصيركم في أداءِ شُكرها "﴿**رَحِيمٌ**﴾"[4] لا يقطعُها لتفريطِكم فيها، ولا يُعاجلكم في العقوبةِ على كفرانها"﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ**﴾"ما تُبطنونَه"﴿**وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾"[5] ما تُظهرونه من عقائدِكم وأعمالِكم، وهو وعيدٌ وتزييفٌ للشِّرك باعتبارِ العلمِ "﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾""أي: والآلهةِ الَّذين تعبدونهم من دونهِ، وقُرئ بالياءِ والتاءِ"[6]"﴿**لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا**﴾" "لما نفَى المشاركةَ بين مَن يخلقُ وبينَ من لا يخلقُ بيّن أنّها لا تخلقُ[ب/ 272] شيئاً لينتجَ أنَّهم لا يشاركونهُ، ثمَّ أكَّدِ ذلكَ بأن أثبتَ لهم صفاتٍ تنافي الألوهيَّة فقال"[7]"﴿**وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾"[8] "لأنَّها ذواتٌ ممكنةٌ مفتقرةٌ في الوجودِ إلى التَّخليقِ، والإله ينبغي أن يكونَ واجبَ الوجودِ"[9] "﴿**أَمْوَاتٌ**﴾" أي: هم أمواتٌ لا تعتريهم الحياةُ، وإن شئتِ جعلتَه خبراً ثانياً أي: وهم يُخلَقون ويموتون "﴿**غَيْرُ أَحْيَاءٍ**﴾"[10] "بالذَّات ليتناولَ كلَّ معبودٍ، والإلهُ ينبغي أن يكونَ حيَّاً بالذَّاتِ لا يعتريه المماتُ، وقيلَ: المرادُ الأصنامَ

---

1 "الماوردي، *النكت والعيون*، 3/ 184."

2 سورة النحل: 16 / 17.

3 "سقطت من النسخة (ب) عبارة (أي لا تضبطوا عددها) ."

4 سورة النحل: 16 /18.

5 سورة النحل: 16 /19.

6 "إبراهيم الإبياري، *الموسوعة القرآنية*، 10/ 174."

7 "الماوردي، *النكت والعيون*، 3/ 185"

8 سورة النحل: 16 /20.

9 " الماوردي، *النكت والعيون*، 3/ 185."

10 سورة النحل: 16 /21.

أي: لا أرواحَ فيها ولا تسمعُ ولا تبصرُ فكيفَ تعبدونها وأنتم أفضلَ منها بالحياةِ"[1]"﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾"[2]"أي: وهم لا يعلمونَ وقتَ بعثهم وبعثِ عبدتهم فكيفَ يكونُ لهم وقتٌ جزاءً على عبادتهم؟ والإلهُ ينبغي أن يكونَ عالماً بالغيوبِ مقدّراً للثَّوابِ والعقابِ، وقيل: وهم يُخلَقون يصوَّرون من الحجارةِ وغيرها، وعبَّر عنها كما عبَّر عن الآدميّن؛ لأنَّهم زعموا أنَّها تعقلُ عنهم، وتشفعُ لهم عندَ اللهِ فجَرى خطابُهم على ذلك، وقيلَ: تمَّ الكلامُ عند قوله (وهم يخلقون) ثمَّ ابتدأَ فوصفَ الكفَّارَ بأنَّهم أمواتٌ، وهذا الموتُ موتُ كفرٍ، وما يشعرُ الكفَّارُ وقتَ البعثِ لأنَّهم لا يؤمنونَ بهِ حتَّى يستعدُّوا للقاءِ اللهِ، وقيل: المعنى وما يُدريهم مَتى السَّاعةُ ولعلُّها تكونُ قريباً"[3] وأيَّان منصوبٌ بـ"﴿**يُبْعَثُونَ**﴾"[4] "وهوَ في معنى الاستفهامِ"[5]"﴿**إِلَهُكُمْ**﴾" المستحقُّ للعبادةِ "﴿**إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾" لا نظيرَ لهُ في ذاتهِ، ولا في صفاتهِ، وهو تكريرٌ للمُدَّعي بعدَ إقامةِ الحِججِ "﴿**فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ**﴾" جاحدةٌ للتَّوحيدِ لا تقبلُ الوعظَ، ولا ينجعُ فيها الذِّكرُ "﴿**وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾"[6] "أي: متكبرون[أ/ 273] متعظِّمونَ عن قبولِ الحقِّ فهو بيانٌ لمقتضَى إصرارهمْ بعدَ وضوحِ الحقِّ، وذلكَ عدمُ إيمانهم بالآخرةِ فإنَّ المؤمنَ بها يكونُ طالباً لدلائلَ متأمِّلاً فيما يسمعُ فينتفعُ بهِ، والكافرُ يكونُ حالهُ بالعكسِ، وإنكارُ قلوبِهم بما لا يُعرفُ إلَّا بالبُرهانِ اتِّباعاً للأسلافِ، وركوناً إلى المألوفِ فإنّه ينافي النَّظرَ والاستكبارَ عن اتِّباع الرَّسولِ، وتصديقهِ والالتفاتِ إلى قولهِ"[7]"﴿**لَا جَرَمَ**﴾" أي حقَّاً "﴿**أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾"من القولِ والعملِ فيجازيَهم،

---

1 "أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت:427هـ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح: الإمام أبي محمّد بن عاشور، راجعه ودققه الأستاذ نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.1، 1422 هـ /2002 م)، 6 /13 ."

2 سورة النحل: 16 /21.

3 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 6/ 14."

4 سورة النحل: 16 /21.

5 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 6/ 15."

6 سورة النحل: 16 /22.

7 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 6/ 15."

وهو في موضعِ رفعٍ بجرمَ لأنَّه مصدرُ أن[1] فعل"[2]،وقال الخليل "﴿**لَا جَرَمَ**﴾" كلمةُ تحقيقٍ ولا يكونُ إلا جواباً، يقال: فعلُوا ذلكَ، فيقالُ "﴿**لَا جَرَمَ**﴾"وتقدَّم. "﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾"[3] "أي: لا يثبِّتُهم ولا يُثني عليهم، قال العلماءُ: كلُّ ذنبٍ يمكنُ التَّستُّرُ فيه وإخفاوهُ إلا التَّكبُّر فإنَّه فسقٌ يلزمهُ الإعلانُ، وهو أصلُ العصيانِ، وفي الحديثِ الصَّحيحِ: "إنّ المتكبّرين يُحشرونَ أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامةِ تطؤهم النَّاسُ بأقدامهم[4]"،[5] أي: تصغرُ أجسامُهم في المحشرِ حتى يضرُّهم صغرُها، وتعظمُ في النَّارِ حتَّى يضرُّهم عظمُها"[6]. "﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ**﴾" ما استفهاميَّة، وذا موصولةٌ، القائلُ بعضهم على التَّهكم أو الوافدونَ عليهم أو المسلمون"[7]"﴿**قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾"[8] "أي: ما يدَّعونَ نزولَهُ، أو المنزَّل أساطيرُ الأوَّلين، وإنَّما سمُّوه منزَّل على التَّهكمِ، أو على الفرضِ، أو على تقديرِ أنَّه منزَّلٌ فهو أساطيرٌ لا تحقيقَ فيه، والقائلونَ له قيلَ: المقتسمون، وقيلَ: نزلتْ في النَّضْر بن الحارثِ[9] وكانَ اشترى أحاديثَ كليلةٍ ودِمنةٍ[10] فكانَ يقرأُ

---

1 في المصدر وردت أو بدلاً من أن.

2 "البيضاوي ، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* ، 3 / 224 ".

3 سورة النحل: 16 / 23.

4 "محمد بن عيسى الترمذي، *سنن الترمذي*، (بيروت: دار إحياء العربي، د.ت)، 655/4، رقم 2492، قال الترمذي: حسن صحيح."

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 95. "

6 "البيضاوي ، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* ، 3 / 225. "

7 "البيضاوي ، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* ، 3 / 225. "

8 سورة النحل:16 / 24.

9 "النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق) . الزركلي، *الأعلام*، 33/8"

10 "كليلة ودمنة: هو كتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم، ذكروا أنه تولى الهند وطغى وبغى، فأراد بيدبا إصلاحه،فألف هذا الكتاب، وجعله على ألسنة الطيور والبهائم على عادة الهنود في عصرهم، وتُرجم من الهندية إلى لغات عديدة، ونقله من الفارسية إلى العربية ابن المقفع . مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي الحاجي خليفة، كشف الظنون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)،1507/2".

على قريشٍ ويقول: [ب/ 273] ما يقرأُ محمّدٌ على أصحابه[1] إلا"[2]"﴿**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾"[3] "أي: ليس هو من تنزيلِ ربّنا، والأساطيرُ الأباطيلُ والتُّرَّهَاتُ"[4]"﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾" أي: قالوا ذلكَ إضلالاً للنَّاس فحُمِّلوا أوزارَ ضلالهم كاملةً لم يتركُوا منها شيئاً، فاللامُ لامُ كي، وقيل: اللامُ العاقبةُ، أي: قولهم في النَّبيّ والقرآنِ أدّاهم إلى أن حُمِّلوا ذنوبَهم كاملةً[5] وقيلَ: هي لامُ الأمرِ، والمعنى التَّهديدُ"[6]"﴿**وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ**﴾" أي: وبعضَ أوزارِ ضلالِ من يضلّونهم وهوِ حقيقةً السَّببُ لأنَّهم دَعوهم إلى الضَّلال فاتَّبعوهم "﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾"حالٌ من المفعولِ أي: يضلُّون من لا يعلمونَ أنَّه ضلالٌ، وفائدتُها الدَّلالةُ على أنَّ جهلَهم لا يعذرُهم، إذ كانَ عليهم أن يبحثوا، ويميّزوا بين المحقِّ والمبطلِ، وقيل: المعنى يضلُّون الخلقَ جهلاً منهم بما يلزمهم من الآثامِ، إذ لو عَلمُوا لما أَضلُّوا فهو حالٌ من الفاعلِ"[7] "﴿**أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾"[8] أي: بئسَ شيئاً يحملونهُ فعلَهم"﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾" أي: سبقَهم بالكفرِ أقوامٌ مع الرُّسلِ المتقدِّمين، وذلك أنَّهم بنوا منصوباتٍ ليمكُروا بها رسلَ اللهِ فكانتِ العاقبةُ الجميلةُ للرُّسلِ "﴿**فَأَتَى**﴾" قصدَ اللهَ "﴿**اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ**﴾" أو أتاهُ أمرهُ من جهةِ العَمَدِ الَّتي بَنوا عليها بأن ضُعضِعتْ "﴿**فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾" وصارَ سببَ هلاكهم"﴿**وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ**

---

1 سقطت من النسخة (ب) عبارة (على أصحابه) .

2 "البيضاوي ، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* ، 3 / 225. "

3 سورة النحل:16 / 24.

4 " أبو القاسم محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبدالله ابن جزي الكلبي الغرناطي ، *التسهيل لعلوم التنزيل*، تح: الدكتور عبدالله الخالدي، (لبنان: بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط.1، 1416 ه)، 1 / 424 . "

5 سقط من النسخة (ب) كلمة (كاملة) .

6 "محمّد علي الصابوني، *صفوة التفاسير*، (مصر: القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، 1417ه/ 1997م)، 2/ 114. "

7 "الصابوني، *صفوة التفاسير*، 2/ 114. "

8 سورة النحل: 16 / 25.

لَا يَشْعُرُونَ﴾"[1] "أي: لا يحتسبونَ ولا يتوقَّعون حيثُ ظنُّوا أنَّهم في أمانٍ، وهو على سبيلِ التَّمثيلِ، أي: فهم بمنزلةِ من سقطَ عليهِ بنيانهُ، وقالَ ابنُ عبَّاس وغيرُه: إنَّهُ النّمرودُ وقومُه أرادوا صعودَ السَّماءِ، وقتالَ أهلِها فبنوا صرحاً ليصعدوا منهُ، أن صنعَ بالنّسورِ ما صنعَ، قال: وكان طولُ الصَّرحِ[أ/ 274] خمسةُ آلافِ ذراعٍ وعرضهُ ثلاثةُ آلافِ ذراعٍ، وقالَ كعبُ[2] ومقاتلُ[3] :كانَ طولُه فرسخينِ، فهبَّت ريحٌ فألقتْ رأسهُ في البحرِ، وخرَّ عليهِ الباقي، وأما سقطَ الصَّرحُ تبلبلتْ ألسنُ النَّاسِ منَ الفزعِ فتكلَّموا بثلاثةٍ وسبعينَ لساناً فلذلك سُمِّي[4]وما كانَ لساناً قبلَ ذلكَ إلا السّريانيَّة"[5]وقولهُ من فوقِهم قالَ ابنُ الأعرابي[6]: "وُكّد ليعلمكَ أنَّهم كانوا حالِينَ تحتَه فوقعَ عليهم فهلكُوا، وما أفلتوا" "﴿**ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ**﴾" أي يُذِلَّهم أو يعذّبهم بالنَّار لقوله: مَنْ تُدخِله النَّارَ فقد أخزيتَه "﴿**وَيَقُولُ**﴾" اللهُ على لسانِ الملائكةِ "﴿**أَيْنَ شُرَكَائِيَ**﴾"،أي: أضافَ إلى نفسهِ استهزاءً أو حكايةً لإضافتهم زيادةً في توبيخِهم "﴿**الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ**﴾"أي: تعادون أو يخالفونَ المؤمنينَ بسببها، وقُرئَ بكسرِ النُّونِ

---

1 سورة النحل: 16 /26.

2 "كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر ،فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة .الزركلي، *الأعلام*، 5 / 228 ".

3 "مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه (نوادر التفسير) و (الرد على القدرية) و (متشابه القرآن) ، ت: 150 هـ. الزركلي، *الأعلام*، 7 /281 . "

4 "سقط من النسخة (ب) عبارة (فلذلك سمي) وورد مكانها في النسخة (ب) عبارة (فمن ذلك بابل) . "

5 " علاء الدّين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن الخازن ، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح: محمّد علي شاهين، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1415 هـ)، 3 / 73 . "

6 " أبو عبد الله محمّد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة؛ وهو من موالي بني هاشم، فإنه مولى العباس بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه ،وكان أبوه زياد عبدا سنديا، وقيل إنه من موالي بني شيبان، وقيل غير ذلك، والأول أصح ،ينظر: *وفيات الأعيان*، 4 / 306 . ينظر: أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، البرمكي الإربلي، *وفيات الأعيان*، مح. إحسان عباس، ط.1، (بيروت: د.، ت.)، 94/1. "

على الإضافةِ أي: تعادُونني"[1] "﴿قَالَ﴾" أي: يقول:"﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾"[2] "أي: الأنبياءُ أو العلماءُ الذينَ كانوا يدعونهم إلى التَّوحيدِ فيشاقُّونهم ويتكبَّرون عليهم، أو الملائكةُ، قاله ابن عباس"[3]."﴿إِنَّ الْخِزْيَ﴾" أي: الهوانَ والذُّلَّ "﴿الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾" أي: العذابَ "﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾"[4]"وفايدةُ قولهم إظهارُ الشَّماتةِ، وزيادةُ الإهانة"[5]"﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾"وقُرئ بالياءِ، وموضعُ الموصولِ يحتملُ الأوجهَ الثَّلاثةَ"[6]"﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾"بالكفرِ بأن عرَّضوها للعذابِ المخلَّدِ، وهو نصبٌ على الحالِ"[7]"﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾" أي: فسَالموا وأُخبتوا حينَ عاينوا الموتِ، والمعنى استسلَموا وأقرُّوا للهِ بالرُّبوبيَّة، وانقادوا عندَ الموتِ"﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾" أي: قائلينَ ما كُنَّا نعملُ "﴿مِنْ سُوءٍ﴾" أي:كفرٍ وعدوانٍ، ويُجوز أن يكونَ تفسيرُ السِّلم على أنَّ المرادَ به القولَ [ب/ 274] الدَّالَّ على الاستسلامِ "﴿بَلَى﴾" أي: فتجيبُهم الملائكةُ: قد كنتم تعملونَ السُّوءَ "﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾" فهوَ يجازيكم عليهِ. وقيلَ: قوله:"﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾"[8] "إلى آخرِ الآيةِ استئنافٌ ورجوعٌ إلى شرحِ حالهم يومَ القيامةِ، وعلى هذا أوّلُ من لم يجز الكذبَ يومئذ ما كنَّا نعملُ من سوءٍ، بأنَّا لم نكنْ في زعمنا واعتقادنا عاملين سواء، واحتُملَ أن يكون الرادُّ عليهم هو اللهُ تعالى، أو أولوا العلمِ، وقال عكرمة[9]: نزلتْ هذهِ الآيةُ بالمدينةِ في قومٍ أسلموا

1 "إبراهيم الإبياري، *الموسوعة القرآنية*، 10/ 180. "

2 سورة النحل: 16 /27.

3 "ابن جزي الكلبي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، 1 / 428 . "

4 سورة النحل: 16 /27.

5 "ابن جزي الكلبي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، 1 / 428 . "

6 "إبراهيم الإبياري، *الموسوعة القرآنية*، 10/ 181. "

7 "إبراهيم الإبياري، *الموسوعة القرآنية*، 10/ 181. "

8 سورة النحل: 16 /28.

9 "عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا . الزركلي، *الأعلام*، 244/4 . "

بمكَّةَ، ولم يهاجروا فأخرجتْهم قريشٌ إلى بدرٍ كرهاً فقُتلوا بها، فقال تعالى: الَّذين تتوفَّاهم الملائكةُ بقبضِ أرواحهمْ ظالمي أنفسهم في مقامِهم بمكَّةَ، وتركِهم الهجرةَ فألقوا السَّلمَ في خروجِهم مع قريش، أي: ألقُوا الصُّلحَ، قاله الأخفشُ[1]، أو الاستسلامَ قاله قطربُ[2]، أو الخضوعَ قالهُ مقاتلُ، ما كُنَّا نعمل من سوءٍ؛ مِن كفرٍ، ﴿**بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ أي: أعمالُكم أعمالُ الكفَّارِ، وعلى الأوَّل فلا يخرجُ كافرٌ ولا منافقٌ من الدُنيا حتَّى ينقادَ، ويستسلمَ ويخضعَ ويذلَّ، ولا ينفعُهم حينئذٍ توبةٌ، ولا إيمانٌ، وتقدَّمَ أنَّ الكفَّارَ يتوفَّونَ بالضَّربِ والهوانِ"[3]"﴿**فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾" "أي كلَّ صِنفٍ بابُه المعدُّ له. وقيلَ: أبوابُ جهنمَ أصنافٌ عذابُها، أي: يقالُ ذلكَ لهم عندَ الموتِ. وقيلَ: هوَ بشارةٌ لهم بعذابِ القبرِ إذ هو بابٌ من أبوابِ جهنمَ للكفَّارِ"[4]"﴿**خَالدّين فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى**﴾" مقامَ "﴿**الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾"[5] جهنمَ الذين تكبَّروا عن الإيمانِ كما قالَ اللهُ تعالى: "﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾"[6]"﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾" [أ/275] الشَّركَ يعني المؤمنينَ "﴿**مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا**﴾"أي أنزلَ خيراً، وفي نصبهِ دليلٌ على أنهم لم يتلعثمُوا في الجوابِ، وأطبقوهُ على السُّؤالِ معترفينَ بالإنزالِ على خلافِ الكفرةِ، وتمَّ الكلامُ، وماذا على هذا اسمُ واحد، وكان الرَّجل من العربِ يرسلهُ قومهُ ليأتيهم بخبرِ النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم فيردُ مكَّةَ في أيَّام الموسمِ فيسألُ المشركينَ المقيمينَ عن النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم، فيقولونَ: ساحرٌ أو شاعرٌ أو

---

1 "أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط؛ أحد نحاة البصرة وأخذ النحو عن سيبويه . الإربلي، *وفيات الأعيان*، 2 / 380 . "

2 "أبو علي محمّد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زيادة، المعروف بقطرب؛ أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين . الإربلي، *وفيات الأعيان*، 312/4."

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 225."

4 " وهبة بن مصطفى الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، (سوريا: دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ)، 14/ 81."

5 سورة النحل: 16 / 29.

6 سورة الصافات، 35/37.

كاهنٌ أو مجنونٌ، ويسألُ المؤمنينَ فيقولون: أنزل اللهُ عليهِ الخيرِ والهُدَى، والمرادُ القرآن"[1] "﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُنيا حَسَنَةٌ**﴾"أي: مكافاةً في الدُنيا مثلَ النَّصرِ والفتحِ والغنيمةِ، وقيل: الحياةُ الطَّيِّبةُ"[2] "﴿**وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ**﴾"أي: ولثوابهم في الآخرةِ خيرٌ منها لفناءِ الدُّنيا وبقاءِ الآخرةِ، وقيلَ: المرادُ بالحسنةِ الجنّةَ، أي: من أطاعَ اللهَ في الدُنيا فلهُ الجنَّةغداً"[3] "﴿**وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾"[4]دارُ الآخرةِ فحذفَ لتقدُّمِ ذكرِها، وقوله: "﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾" إقامةً خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ ويجوزُ أن يكونَ المخصوصُ بالمدحِ، وأن يكونَ بدلاً "﴿**يَدْخُلُونَهَا**﴾" في موضعِ الصِّفة أي مدخوله"﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾" تقدَّمَ "﴿**لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ**﴾"من أنواعِ المشتهياتِ ممَّا تمنَّوهُ وأرادوه، وفي تقديمِ الظَّرفِ تنبيهٌ على أن الإنسانَ لا يجدُ جميعَ ما يريدهُ إلا في الجنَّةِ"[5]"﴿**كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ**﴾"[6] أي مثلَ هذا الجزاءِ يجزي المتَّقينِ"﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ**﴾"طاهرينِ من ظُلمِ أنفسهم بالكُفرِ والمعاصي؛ لأنَّه في مقابلةِ ظالمي أنفسهم، وقيلَ: فرحينَ ببشارةِ الملائكةِ إيَّاهم بالجنَّة، أو طيّبين يقبضُ أرواحهم لتتوجَّه نفوسُهم[ب/275] بالكُليَّة إلى حضرةِ القدسِ، أو تكونُ وفاتهم طيّبةً سهلةً لا صعوبةَ فيها ولا ألمَ، بخلافِ الكافرِ والمخلَّط"[7] "﴿**يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ**﴾"لا يلحقكم بعدُ مكروهٌ، وعن محمّدِ بن كعبٍ القرظيّ[8] قال: إذا استحفت

---

1 " محمّد رشيد بن علي رضا بن محمّد شمس الدّين بن محمّد بهاء الدّين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ، *تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار*، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م)، 2/ 107."

2 " القلموني، *تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار*، 2/ 107."

3 " القلموني، *تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار*، 2/ 108."

4 سورة النحل: 16 /30.

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 225."

6 سورة النحل: 16 /31.

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 225."

8 "وهو محمّد بن كعب بن حيان بن سليمان بن أسد القرظي، من قريظة حلفاء الأوس، احد العلماء الفضلاء الثقات ومن التابعين بالمدينة ، وكان من أعلمهم بتأويل القرآن وأقرئهم له، ويكنى أبا حمزة . هذا قول الواقدي وغيره. ينظر: لابن سعد، *الطبقات الكبرى* / متمم التابعين لابن سعد، 134 (40)."

نفسُ المؤمنِ جاءهُ ملكٌ، فقال: السَّلامُ عليكَ يا وليَّ اللهِ، اللهُ يقرأُ عليكَ السَّلامَ، ثم نزع بهذهِ الآيةِ (الذين تتوفَّاهم الملائكةُ طيّبين يقولونَ سلامٌ عليكم)"[1] "﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾"[2]حين تُبعثونَ فإنها مُعدَّةٌ لكم على أعمالكم، أو يقالُ لهم في الآخرةِ: ادخلُوا الجنَّةَ، وقيلَ: هذا التَّوفِّي وفاةُ الحشرِ؛ لأنَّ الأمرَ بالدُّخولِ حينئذٍ"[3] "﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ**﴾" أي: ما ينظرُ الكفَّارُ المارّ ذكرُهم "﴿**إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾" "لقبضِ أرواحهم، وقُرئ بالياء"[4] "﴿**أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾"أي: بالعذابِ من القتلِ كيوم بدرٍ، والزَّلزلةِ والخسفِ في الدُّنيا، أو المرادُ يومَ القيامةِ لاشتمالها على العذابِ، والقومُ لم ينتظروا هذه الأشياءَ ؛لأنهم ما آمنوا بها، ولكنَّ امتناعُهم عن الإيمانِ أوجبَ عليهم العذابَ فأُضيفَ ذلك إليهم أي: عاقبتهم ذلك"[5] "﴿**كَذَلِكَ**﴾" أي: مثلَ ذلكَ الفعلِ من الشِّركِ والتَّكذيبِ "﴿**فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾" فأصابهم ما أصابهم "﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**﴾"بتدميرِهم بغير ذنبٍ"﴿**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾"[6] بكفرِهم ومعاصيهم المؤدِّيةِ إليه"﴿**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا**﴾" "أي: جزاءَ سيِّئاتِ أعمالهم على حذفِ المضافِ وتسميةِ الجزاءِ باسمها"[7]"﴿**وَحَاقَ بِهِمْ**﴾" أي أحاطَ بهم ودارَ، وهو لا يُستعملُ إلا في الشَّرِّ "﴿**مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾"[8] أي: جزاءَ استهزائِهم، وهو العذابُ "﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾" من أهلِ مكَّةَ "﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾" من صِلة، أي شيئاً "﴿**نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾" [أ/ 276] "قال الزَّجَّاجُ: قالوا ذلكَ استهزاءً، ولو قالوا ذلك

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 225."

2 سورة النحل: 16 /32.

3 " الحسيني، *تفسير المنار*، 2/ 111."

4 " الحسيني، *تفسير المنار*، 2/ 111."

5 " الحسيني، *تفسير المنار*، 2/ 112."

6 سورة النحل: 16 /33.

7 " الحسيني، *تفسير المنار*، 2/ 111."

8 سورة النحل: 16 /34.

عن اعتقادٍ لكانُوا مؤمنين، وقيلَ: قالوه منعاً للمشقَّةِ، والتَّكليفِ متمسِّكينَ بأنَّ ما شاءَ الله تحبُ، وما لم يشأ يمتنعُ، فما الفائدةُ وإنكارُ القبحِ ما أنكرَ عليهم من الشِّركِ وتحريمِ البحائرِ ونحوها محتجِّين بأنَّها لو كانت مستقبحةً لما شاءَ الله صدورِها عنهم ولو شاءَ خلافَه، مُلجئاً إليه أو لم يعتقدوا قبحَ أعمالهم، وفيما بعدُ تنبيهٌ على الجوابِ من"[1] الشبهتين[2]"﴿**فَهَلْ**﴾" ما "﴿**عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾"[3] "أي: إلا الإبلاغُ الموضِّحُ للحقِّ، وهو لا يؤثِّرُ في هدى من يشاءُ اللهُ هداهُ، لكنه مؤدٍّ إليه على سبيلِ التَّوسُّطِ، وما شاءَ اللهُ وقوعَه إنَّما يجبُ وقوعُه لا مطلقاً بل بأسبابٍ قدَّرها له، ثم بيَّن أن البعثةَ كالعسلِ[4] الصَّالح؛ فإنه ينوي[5] ينفعُ المزاجَ المستوي ويقوِّيه، ويضرُّ المنحرفَ ويُفنيه"[6]"﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا**﴾" كما بعثناكَ في هؤلاء "﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾" "أي: بأن أعبدوا اللهَ وحدَه"[7] "﴿**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾" "أي: اتركوا كلَّ معبودٍ دونَ الله كالصَّنمِ والشَّيطانِ والكاهنِ، وكلَّ من دعا إلى ضلال، أي: أرسلناهُ يأمرُ بعبادةِ اللهِ واجتنابِ الطَّاغوتِ"[8] "﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ**﴾" أي وفَّقهم للإيمانِ بإرشادهم "﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ**﴾" وَجبتْ عليه الضَّلالةُ إذ لم يوفقهم، ولم يرد هداهم حتَّى ماتُوا على الكفرِ "﴿**فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾"يا معشرَ قريش "﴿**فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾"[9] وسَلْهم من عادٌ وثمودٌ وغيرُهم؟ وكيفَ صارَ آخر أمرهم إلى الخراب والعذابِ؟ لعلَّكم تعتبرون "﴿**إِنْ تَحْرِصْ**﴾"يا محمّدُ "﴿**عَلَى**

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226."

2 "سقط من النسخة (ب) عبارة (من الشبهتين) وورد مكانها في النسخة (ب) عبارة (كذلك فعل الذين من قبلهم فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وقيل فعلوا مثل هذا الأستهزاء) ".

3 سورة النحل: 16 / 35.

4 "وردت في المصادرالغذاء، "البيضاوي، *أنوار* التنزيل وأسرار التأويل،226/3."

5 كذا هذه الكلمة في المخطوط ولم أفهم معناها.

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226."

7 "سقط من النسخة (ب) عبارة (أي بأن أعبدوا الله وحده) ووردت مكانها في النسخة (ب)كلمة (ووحدوه) ."

8 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226."

9 سورة النحل: 16 /36.

هُدَاهُمْ﴾"أي: [ب/ 276] تطلبُ بجهدكَ هُداهم وقد أضلَّهم اللهُ لا تقدرُ على ذلك "﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾**" أي من يرد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة قرئ يهدي بفتح الياء[1] وكسر الدال وهو فعل مستقبل ماضيه هَدَى[2] ومَن في موضعِ نصبٍ بيهدي، ويجوزُ أن يكونَ يهدي بمعنى يهتدي فتكونُ من في موضعِ رفعٍ، والعائدُ إلى مَنْ الهاءُ المحذوفةُ من الصِّلةِ، وقُرئ لا يُهدى بالبناء للمفعولِ، وهو أبلغ، والمعنى من أضلَّه الله لم يهِده هادٍ فمن في موضع رفعٍ بمعنى الَّذي والعايدُ عليها من صلتها محذوفٌ، والعايد على اسمِ إنَّ مِن فإنَّ اللهَ الضَّمير المستكنُ في يضلُّ"[3] "﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**"[4] أي: من ينصرهم بدفعِ العذابِ عنهم "﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾**" غايةً في اجتهادِهم فيها "﴿**لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾**"عطفٌ على (وقال الذين أشركوا) إيذاناً بأنَّهم أنكروا التَّوحيدَ[5] كما أنكروا البعثَ مُقسمين عليهِ زيادةً في البتِّ على فسادِه، وفيه تعجبٌ من صنعهم، ووجههُ أنهم يُظهرونَ تعظيمَ اللهِ فيُقسمون بهِ، ثم يُعجزونه عن بعثِ الأمواتِ، وقالَ أبو العاليةِ[6] : كان لرجلٍ من المسلمينَ على مشركٍ دينٌ فتقاضاهُ، وكانَ في بعضِ كلامِه والَّذي أرجوهُ بعدَ الموتِ إنَّه لكذا، فأقسمَ المشركُ بأنَّ اللهَ لا يبعثُ من يموتُ، فردَّ اللهُ عليهم أبلغَ ردٍّ فقالَ"[7]: "﴿**بَلَى﴾**" يبعثُهم "﴿**وَعْدًا﴾**"مصدرٌ موكِّدٌ لنفسهِ، وهو ما دلَّ عليه بلى فإن يُبعث بوعدٍ من الله أي: وعد البعثِ"[8] "﴿**وَعْدًا عَلَيْهِ﴾**" إنجازُه لامتناعِ الخُلف في

---

1 "سقط من النسخة (ب) كلمة (الياء) وورد مكانها في النسخة (ب) كلمة (الهاء) ."

2 وردت من النسخة (ب) كلمة (فتكون) .

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226.

4 سورة النحل: 16 /37.

5 سقط من النسخة (ب) عبارة (أنكروا التوحيد)

6 "رفيع بن مهران، الإمام المقرئ، الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري أحد الأعلام كان مولى لامرأة بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق. الذهبي، *سير أعلام النبلاء ط الحديث*، 5/ 118."

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226."

8 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226."

وعدِه "﴿**حَقًّا**﴾" صفةٌ أخرى للوعدِ "﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ**﴾" أهلَ مكَّةَ "﴿**لَا يَعْلَمُونَ**﴾"[1] [277/أ] "أنَّهم يُبعثون إما لعدمِ علمهم بأنَّه من مواجبِ الحكمةِ الَّتي جرت عادتُه بمراعاتِها، وإما لقصورِ نظرِهم بالمألوفِ، فيتوَّهمون امتناعَه ثم أنَّه تعالى ميَّزَ الأمرينَ"[2] فقال: "﴿**لِيُبَيِّنَ لَهُمُ**﴾" أي: يبعثَهم ويبيّن لهم "﴿**الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾"[3] وهو الحقُّ من أمرِ البعثِ "﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ**﴾"[4] "فيما كانوا يزعمونَ، وهو إشارةٌ إلى السَّبب الدَّاعي إلى البعثِ المقتضي له من حيثُ الحكمةِ، وهو الميزُ بين الحقِّ والباطلِ، والمحقِّ والمبطلِ بالثَّوابِ والعقابِ، وقيلَ: المعنى وقد بعثنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً ليبيّن لهم الَّذي يختلفونَ فيه من عبادةِ الأصنامِ والبعثِ، وغير ذلك"[5]، ثم قالَ: "﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ**﴾" أي أردنا إيجادَهُ، وقولنا مبتدأٌ وخبرُه "﴿**أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾"وهو بيانُ إمكانِ البعثِ، وتقديرُه أنَّ تكوينَ الله بمحضِ قدرتِه ومشيئتِه لا توقُّف له على سبقِ المرادِ والمددِ، والا لزمَ التَّسلسلُ، فكما أمكنَ له تكوينُ الأشياء ابتدأ بلا سبقِ مادَّة، ومثالُ أمكن له تكوينها إعادةُ بعده، وقُرئ بنصبٍ يكونُ عطفاً على نقولُ، أو جواباً للأمر، وقُرئ بالرَّفعِ على معنى فهو يكونُ، قالَ ابنُ الأنباري[6]: أوقعَ لفظَ الشَّيءِ على المعلومِ عندَ اللهِ قبلَ الخلقِ لأنَّه بمنزلةِ ما وُجدَ وشوهدَ، وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ، فإنَّه لو كانَ قولُه كُنْ مخلوقاً لأحتاجَ إلى قولِ كُنْ، والثَّاني إلى ثالثٍ،

---

1 سورة النحل: 16 / 38.

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 226."

3 سورة النحل: 16 / 39.

4 سورة النحل: 16 / 39.

5 " جمال الدّين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمّد الجوزي ، *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبدالرزاق المهدي، (لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط.1، 1422 ه)، 2 / 559 ـ 560 ."

6 "الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي، ولد سنة 272، وسمع في صباه باعتناء أبيه من محمّد بن يونس الكديمي، وحمل عن والده، وألف الدواوين الكبار مع الصدق والدّين، الذهبي، *سير أعلام النبلاء ط الحديث*، 11/ 489."

ويتسلسل، وهوَ محالٌ، وفيها دليلٌ على أنه تعالى مريدٌ لجميعِ الحوادثِ كلِّها، خيرِها وشرِّها، نفعِها وضرِّها، والإرادةُ صفةٌ تخصِّصُ أحدَ طرفي الشَّيءِ منَ الفعلِ أو التَّركِ [ب/277] بالوقوع ، والمعنى إذا أردنا أن نبعثَ من يموتُ فلا تعبٌ علينا، ولا نصبٌ في إحيائِهم، ولا في غيرِ ذلكَ من ما نُحدِثه إلا أنَّا إنَّما ما نقولُ له: كُنْ فيكونُ"[1]"﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾"هم رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم وأصحابِه المهاجرون ظلمتهم قريش فهاجرَ بعضُهم إلى الحبشةِ ثم إلى المدينة، وبعضُهم إلى المدينة، أو المحبوسونَ المعذَّبونَ بمكَّةَ بعدَ هجرةِ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم، وهم: بلالٌ وصهيبٌ[2] وسعيدٌ[3] وخبابٌ[4] وعمارٌ وأبو جندلَ[5] وسهيلٌ[6]، والهجرةُ: تركُ الأوطان والأهلِ والقرابةِ، وقولهِ في اللهِ أي: في حقِّهِ ولوجهِهِ وإقامةً دينِه، وقيل: في بمعنى اللّام"[7] "﴿**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُنيا حَسَنَةً**﴾"أي: مبوِّءةً حسنةً؛ وهي المدينة، أو تبويئةً حسنةً، وقالَ مجاهدُ: الرِّزقُ الحسنُ[8] أو النَّصر على عدوِّهم، أو لسانَ صدقٍ، وقيلَ: ما استولوا عليهِ من فتوحِ البلادِ، وصارَ لهم فيها من الولاياتِ، أو ما صارَ لأولادهم من الشَّرفِ،

---

1 "محمّد بن علي بن محمّد بن عبدالله الشوكاني اليمني ، *فتح القدير* (دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلام الطيب،1414 هـ)، 3 / 195."

2 "صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهما، وله بأس. وهو أحد السابقين إلى الإسلام. كان أبوه من أشراف الجاهليين. ولاه كسرى على الأبلة (البصرة) ، ت : 38 هـ . الزركلي، *الأعلام*، 3 / 210 ."

3 "سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ القرشي، أبو الأعور: صحابيّ، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وكان غائبا في مهمة أرسله بها النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم ،وهو أحد العشرة المبشَّرين ، الزركلي، *الأعلام*، 3 / 94 ."

4 "خباب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميمي، أبويحيى أو أبو عبد الله: صحابي، من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه. كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة. ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة ،الزركلي، *الأعلام*، 2 / 301 ."

5 "أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، بن عبد ود، بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر العامري القرشي واسمه العاص، كان من خيار الصحابة، الذهبي، *سير أعلام النبلاء ط الحديث*، 3/ 122."

6 "سهيل بن أبي صالح الإمام المحدث الكبير الصادق، أبو يزيد المدني مولى جويرية بنت الأحمس الغطفانية، جدث عن أبيه أبي صالح ذكوان السمان، والنعمان بن أبي عياش الزرقي،الذهبي، *سير أعلام النبلاء ط الحديث*، 6/ 170. "

7 "الشوكاني، *فتح القدير*، 3 / 195 . "

8 "أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، *فتح البيان في مقاصد القرآن* (بيروت - صيدا :المكتبه العصريه للطباعة والنشر 1992 م)، 7 /244 . "

وكلُّ ذلكَ اجتمع لهم بفضلِ اللهِ"[1]"﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾" مما تعجَّل لهم في الدُّنيا؛ وهو الجنَّة، وعن عمرَ أنَّه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرينَ عطاءً قال له: خُذْ باركَ الله لكَ فيه، هذا ما وعدكَ في الدنيا، وما ادَّخرَ لكَ في الآخرةِ أفضل"[2]"﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾"[3] "الضَّميرُ للكفَّارِ والمتخلِّفين عن الهجرةِ، أي: لو علموا أن اللهَ يجمعُ لهؤلاءِ المهاجرين خيرَ الدَّارين لوافقوهم، أو للمهاجرينَ أي: لو علموا ذلكَ لزادوا في اجتهادِهم وصبرِهم، وقيل: المعنى لو رَأوا ثوابَ الأخرةِ وعاينوه لعلموا أنَّه أكثرَ من حسنةِ الدُّنيا"[4] "﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾"[5] [أ/278] "﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾" على الشَّدائدِ كأذى الكفرةِ ومفارقةِ الوطنِ"﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾"[6] "في كلِّ أمورِهم منقطعينَ إلى اللهِ، قالَ أهلُ التَّحقيقِ: خيارُ الخلقِ من إذا نابهُ أمرٌ صبرَ، وإذا عجزَ عن أمرٍ توكَّلَ، ومحلُ الَّذينَ الرَّفعُ أو النَّصبُ على المدحِ، وقيلَ: بدلٌ من الَّذين، الأوَّل"[7]"﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾" ردَّاً لقولِ قريشٍ اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولُه بشرٌ، أي: جرتْ عادةُ الله أن لا يبعثَ للدَّعوة العامَّة إلا بشراً يُوحى إليه على ألسنةِ الملائكةِ فإن شككتمْ فيهِ"[8]"﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾" أي: أهلَ الكتابِ، أو علماءَ الأحبارِ، وإن لم يؤمنوا فهُم معترفونَ بأنَّ الرُّسلَ كانوا من البشرِ، وأنتم إلى تصديقهم أقربُ من تصديقِ المؤمنينَ بمحمّد،

---

1 "الشوكاني، *فتح القدير*، 3/ 196. "

2 الشوكاني، *فتح القدير*، 3/ 196.

3 سورة النحل: 16 / 41.

4 " إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، (لبنان: بيروت، ط.1، 1408هـ/ 1988م)، 1/ 474. "

5 سورة الإنسان، 76/ 20.

6 سورة النحل: 16 / 42.

7 "البغوي، *تفسير البغوي- إحياء التراث*، 3/ 343. "

8 " البغوي، *تفسير البغوي- إحياء التراث*، 3/ 343. "

ابنُ عبَّاسٍ: هم أهلُ القرآنِ أي: اسألوهم ليعلموكم"[1] "﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾"[2] "ذلكَ وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّهُ لم يرسلْ امرأةً، ولا ملَكاً للدَّعوةِ العامَّة، وأمَّا قولُه جاعلِ الملائكةَ رسلاً إلى الملائكةِ، أو إلى الأنبياءِ، وقيلَ: لم يُبعثوا إلى الأنبياءِ إلا ممثَّلين بصورةِ الرِّجال، وفي الآيةِ دليلٌ على وجوبِ المراجعةِ إلى العلماءِ فيما لا يُعلمُ"[3]"﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾" أي: أرسلناهم بالمعجزاتِ والكتبِ، كأنَّهُ جوابُ قائلٍ قالَ: بم أُرسلوا؟ ويجوزُ أن يتعلَّق بما أرسلنا داخلاً في الاستثناءِ مع (رجالاً) أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبيِّناتِ أو بوحي على المفعولِ بهِ أو الحالِ من القائمِ مقامَ فاعلهِ، على أن قولَه (فاسئلوا) اعتراضٌ، أو بلا تعلمونَ على أنَّ للشَّرطَ للتبكيتِ والإلزامِ"[4] "﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾" أي: القرآن، وإنَّما سُمِّيَ ذِكراً لأنَّه موعظةٌ وتنبيهٌ "﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾" في الذِّكر بتوسُّط إنزالهِ [ب/278] إليكَ بقولكَ وفعلكَ ممَّا أُمروا بهِ ونُهوا عنه، أو ممَّا تشابهَ عليهم، والتَّبيين أعمُّ من أن ينصَّ بالمقصودِ أو يرشدَ إلى ما يدلُّ عليهِ كالقياسِ، ودليلِ العقلِ، فالرَّسولُ عليه الصَّلاة والسَّلام مبيِّن عن اللهِ عزَّ وجلَّ مرادَه مما أجملهُ في كتابهِ من أحكامِ الصَّلاة والزَّكاة، وغيرِ ذلكَ مما لم يفصِّله"[5] "﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾"[6] أي: وإرادةَ أن يتأمَّلوا فيهِ فيتنبَّهوا للحقائقِ"﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾"أي: المكرات السيِّئات، وهم الَّذينَ احتالوا لهلاكِ الأنبياءِ، أو الَّذين مكرُوا برسولِ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وسلَّم في دارِ النَّدوةِ بتقييدهِ أو قتلِه، أو إخراجهِ كما ذكرَ ذلكَ في الأنفالِ، أو الَّذينَ راموا صدَّ أصحابِه عن الإيمانِ"[7]"﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ

1 "البغوي، *تفسير البغوي- إحياء التراث*، 3/ 343. "

2 سورة النحل: 16 / 43.

3 "عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تح عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط1 ،(مؤسسة الرّسالة 1420هـ ./ 2000 م)،441 . "

4 " السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، 441 . "

5 " السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، 441 . "

6 سورة النحل: 16 / 44.

7 " السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، 441 . "

﴿**الْأَرْضَ**﴾"[1]"كما خسفَ بقارونَ[2] ويقالُ: خُسفَ المكانُ: ذهبَ في الأرضِ، وخَسفَ اللهُ به الأرضَ: غيَّبهُ فيها، والاستفهامُ للإنكارِ، والمعنى يجبُ أن لا يأمنُوا عقوبةً تلحقهم كما لحقتْ المكذِّبين قبلهم"[3] "﴿**أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾"[4] "أي: بغتةً من جانبِ السَّماءِ كما فعلَ بقومِ لوطٍ، وقيلَ: يريدُ يومَ بدرٍ فإنَّهم أُهلكوا ذلكَ اليومَ، ولم يكنْ في حسابِهم"[5]"﴿**أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ**﴾" أي: متقلِّدين في مسايرهم، ومتاجرهم، وتصرُّفهم، قاله قتادة. وقيلَ: في فرشيهم. الضَّحَّاك:باللَّيلِ والنَّهارِ"[6] "﴿**فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾"[7] أي بسابقينَ اللهِ، ولا فائتيه "﴿**أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ**﴾" أي: على مخافةٍ بأن يهلكَ قوماً قبلهم فيتخوَّفوا فيأتيهم العذابُ، وهُم متخوِّفون، ابنُ عبَّاس وغيره على تنقص بأنْ ينقصَ شيئاً بعد شيءٍ في أنفسهم وأموالهم حتى [أ/279] يهلكوا من تخوَّفته إذا تنقَّصته، ورُويَ أنَّ عمرَ رضيَ الله عنهُ قالَ على المنبرِ: ما تقولونَ فيها فسَكتوا، فقامَ شيخٌ من هُذَيل فقالَ: هذه لغتنا التَّخوف النَّقص، فقالَ: هل تعرفُ العربُ ذلكَ في أشعارِها، قالَ: نعم"[8]، قالَ شاعرُنا أبي كثير[9] يصفُ ناقتَه:

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تامِكاً قَرِدا كمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ"[10]

---

1 سورة النحل: 16 / 45

2 "هو ابن عم موسى عليه السلام ، ينظر: الأندلسي، *المحرر الوجيز*،4 / 298 . "

3 " مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط1(الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1393 هـ .1973 م /1414 هـ . 1993 م)، 5 /625 . "

4 سورة النحل: 16 / 45.

5 " *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 5 /625 . "

6 " *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، 5 /625 . "

7 سورة النحل: 16 /46.

8 " ابن جزيء الكلبي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، 1 / 438 ."

9 لم أهتدِ إلى ترجمته .

10 ـ " أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، *ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب*، تح: عبد القدوس أبو صالح، (السعودية، جدة، مؤسسة الإيمان، ط.1، 1982م/ 1402هـ)، 3/ 1917." "قيل: هذه لغة أَزد شنوءَة، ولا تضلوا نهى أو مجزوم فى جواب الأَمر، والتامك السنام، القرد بفتح فكسر ما تلبد من الصوف"، "والنبع شجر يتخذ منه الأَقواس، والسفن بفتحتين حديدة ينحت بها، ويطلق

"فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ: عنكم بديوانِكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعرُ الجاهليَّةِ، فإنَّ فيهِ تفسيرُ كتابِكم[1] ومعاني كلامكم، وقالَ الليث بن سعد[2]: على تخوّفٍ على عجلٍ، وقيلَ: على تقريعٍ بما قدَّموه من ذنوبهم"[3] "﴿**فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾"[4] حيثُ لا يعاجلُكم بالعقوبةِ "﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾" استفهام إنكاريّ أي: قدَّروا أمثالَ هذه الصَّنائع فما بالهم لم يتفكَّروا فيه ليظهرَ لهم كمالَ قدرتِه وقهرِه فيخافوا منه، وما موصولةٌ مبهمةٌ بيانُها"[5] "﴿**يَتَفَيَّأُ**﴾" أي: تتماثلُ "﴿**ظِلَالُهُ**﴾" أي: أو لم ينظُروا إلى المخلوقاتِ الَّتي لها ظلالٌ كالأشجارِ والجبالِ متفيئةٌ "﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ**﴾"جمعُ شِمال، أي: عن جانبي كلَّ واحدٍ منها استعارةٌ من يمينِ الإنسان وشمالِه، ولعلَّ توحيدَ اليمينِ وجمعَ الشَّمائل باعتبارِ اللَّفظِ، والمعنى لتوحيدِ الضَّميرِ في ظلالِهِ وجمعِهِ في قوله"[6] "﴿**سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾"[7] "صاغرون، وهما حالانِ من الضَّمير في ظلالِهِ والمرادُ من السُّجودِ الاستسلامُ سواءً كانَ بالطَّبع أو الاختيار، يُقال: سجدتْ النَّخلةُ إذا مالتْ لكثرةِ الحملِ، وسجدَ البعيرُ إذا طأطأ رأسَه ليركبَ، والمعنى ترجعُ الظِّلالُ بارتفاعِ الشَّمسِ وانحدارِها [ب/279] أو باختلافِ مشارِقها ومغارِبها بتقديرِ اللهِ تعالى من جانبٍ إلى جانبٍ منقادةً لما قُدِّرَ لها من التَّفيّؤ، أو واقعةً على الأرضِ متَّصلةً بها على هيئةِ السَّاجدِ، والأجرام

على المبرد، وما ذكر أولى من نسبة بعضهم البيت لزهير، ومراد عمر: ورود التخوف بمعنى التنقص لا الحصر فى معنى ، محمد صديق حسن، *فتح البيان في مقاصد القرآن"* ، (د.ن.: المطبعة الكبرى الميرية، د.ت)، ٧/٢٥١.

1 " محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن عاشور التونسي ، *التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*، (تونس:الدار التونسية للنشر،1984 م)، 167/14 ."

2 "أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سرياً سخياً، *ميزان الاعتدال* 3/ 423. "

3 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 111."

4 سورة النحل: 16 / 47.

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 111."

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 111."

7 سورة النحل: 16 / 48.

في نفسها أيضاً داخرةً أي: صاغرةً منقادةً لأفعالِ اللهِ تعالى فيها، وجمعَ داخرون بالواوِ لتنزيلِ الظِّلالِ منزلةَ من يعقلُ، أو لأنَّ من جملةِ الأجرامِ من يعقلُ، وقيلَ: المرادُ باليمينِ والشَّمائلِ يمينُ الفلكِ وهو جانبهُ الشَّرقيّ؛ لأنَّ الكواكبَ تظهرُ منهُ آخذةً في الارتفاعِ والسُّطوعِ، وشمالهُ وهو الجانبُ الغربيُّ المقابلُ لهُ، فإنَّ الظِّلالَ في أوَّلِ النَّهارِ تبتدئُ من المشرقِ واقعةً على الرُّبعِ الغربيّ من الأرضِ، وعند الزَّوالِ تبتدئُ من المغربِ واقعةً على الرُّبع الشَّرقيّ من الأرضِ"[1]"﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾" أي: ينقادُ انقياداً يعمُّ الانقيادَ لإرادتِه وتأثيرِه طبعاً، والانقيادُ لتكليفِهِ وأمرِه طوعاً ليصبحَ إسنادهُ إلى عامَّةِ أهلِ السَّماواتِ والأرضِ، وقوله"[2]:"﴿**مِنْ دَابَّةٍ**﴾" بيانٌ لهما؛ لأنَّ الدَّبيبَ الحركةُ الجسمانيَّةُ سواءً أكانتْ في أرضٍ أو سَمَا "﴿**وَالْمَلَائِكَةُ**﴾" عطفٌ على المبيَّن به، عطفُ جبريلَ على الملائكةِ للتَّعظيمِ، أو عطفُ المجرَّداتِ على الجِسمانيَّاتِ وبه احتجَّ من قالَ: إنَّ الملائكةَ أرواحٌ مجرَّدةٌ، أو بيانٌ لما في الأرضِ، والملائكةُ تكريرٌ لما في السَّمواتِ، وتعيينٌ لها إجلالاً وتعظيماً، أو المرادُ بها ملائكةُ الأرضِ من الحفظةِ وغيرِهمْ"[3]. "وقيلَ: لخروجِهم من جُملةِ من يدبُّ لما جعلَ اللهُ لهم من الأجنحةِ فلم يدخُلوا في الجُملة، فلذلكَ ذُكروا، وإنما ذُكر ما دونَ مَن لأنَّها [أ /280] أعمُّ، والسُّجودُ يشملُ الجميعَ"[4] "﴿**وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾"[5] يتكبَّرونَ عن عبادةِ ربِّهم، وهذا ردٌّ على قريش الزَّاعمينَ أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ "﴿**يَخَافُونَ**﴾" أي: الملائكةُ حالٌ من ضميرِ يستكبرون "﴿**رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾" أي: يخافونَ أن يرسلَ عذاباً من فوقهم، أو يخافونهُ وهو فوقُهم بالقَهرِ، لقوله: (وهو القاهر فوق عباده) أو يخافونَ قدرةَ ربِّهم الَّتي

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 229."
2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 229."
3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 229."
4 "الماوردي، النكت والعيون، 192/3."
5 سورة النحل: 16 / 49 .

هيَ فوقُ قدرتِهم، وقيلَ: المعنى أنَّ الملائكةَ يخافونَ ربَّهم وهم فوقُ ما في الأرضِ من دابَّةٍ أي: ومعَ ذلكَ[1] يخافونَ فلأنْ يخافَ من دونُهم أَولى"[2]"﴿**وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾"[3]بهِ من الطَّاعةِ والتَّدبيرِ، وفيهِ دليلٌ على أنَّ الملائكةَ مكلَّفونَ مدارونَ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ"﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾" ذكرَ العددَ مع أن ذِكرَ المعدودِ يدلُّ عليهِ لإفادةِ أنَّ النَّهيَ عن اتِّخاذِ إلهينِ إنَّما هوَ لمحضِ كونِهما اثنينِ فقط، وإيماناً بأنَّ الاثنينيَّة تُنافي الأُلوهيَّة، وقيلَ: المعنى لا تتَّخذوا اثنَين إلهين، وقيلَ: اثنين توكيدٌ، ولما كانَ الإلهُ الحقُّ لا يتعدَّدُ، وإنَّ كلَّ من يتعدَّدُ فليسَ بإلهٍ اقتصرَ على ذكرِ الاثنين؛ لأنَّه قصدَ نفيَ التَّعدُّدِ"[4]"﴿**إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾" يعني ذاتَه المقدَّسَةَ، وقد قامَ الدَّليلُ العقليُّ والشَّرعيُّ على وحدانيته "﴿**فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾"[5] "نقلٌ من الغَيبة إلى التَّكلُّمِ مبالغةً في التَّرهيبِ، وتصريحاً بالمقصودِ كأنَّهُ قالَ: فأنا ذلكَ الإلهُ الواحدُ، فإيَّايَ فارهبونِ لا غيري"[6] "﴿**وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾" خَلقاً ومُلكاً "﴿**وَلَهُ الدِّين**﴾" أي: الطَّاعةُ والاخلاصُ "﴿**وَاصِبًا**﴾" لازماً، أو دائمَ الحالِ، والعاملُ فيه معنى الظَّرفِ، والمعنى طاعةُ اللهِ واجبةٌ أبداً[ب/280] ومنه قولهُ تعالى: "﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ**﴾"[7] "أي: دائم، وقيلَ: واصباً أي: خالصاً، والوَصَبُ التَّعَبُ فتجبُ طاعةُ اللهِ وإن تعبَ العبدُ فيها، أي: وله الدِّينُ ذا كلفةٍ، وقيلَ: الدِّينُ الجزاءُ،

---

1 سقط من النسخة (ب) عبارة (ربهم وهم فوق ما في الأرض من دابة أي ومع ذلك) .

2 "أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد بن علي الواحدي النيسباوري الشافعي ، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* ، تح صفوان عدنان داوودي، (سوريا: دمشق، دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط1415،1هـ)، 609 ."

3 سورة النحل: 16 / 50 .

4 "النيسابوري الشافعي، *التفسير البسيط*، (جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية :عمادة البحث العلمي، ط1 ، 1430 هـ)، 84/13 ."

5 سورة النحل: 16 / 51 .

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 229."

7 سورة الصافات ، 37 / 9 .

أي: وله الجزاءُ دائماً لا ينقطعُ ثوابُه لمن آمنَ، وعقابُه لمن كفرَ"[1]"﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾"[2] وهوَ الإلهُ الحقُّ أي: ينبغي ألَّا تتَّقوا غيرَ اللهِ فلا ضارَّ سواهُ كما لا نافعَ غيرُه كما قالَ: "﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾" أي: وأيُّ شيءٍ اتَّصلَ بكم من نعمةٍ فهوَ من اللهِ، وما شرطيةٌ أو موصولةٌ متضمِّنةٌ معنى الشَّرطِ باعتبارِ الإخبارِ دونَ الحصولِ، فإنَّ استقرارَ النِّعمةِ بهم يكونُ سبباً للإخبارِ أنَّها من اللهِ لا لحصولِها منهُ تعالى"[3] "﴿**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ**﴾" أصابَكم "﴿**الضُّرُّ**﴾" أي: السُّقم والبلاءُ والقحطُ "﴿**فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾"[4] أي تجأرونَ بالدُّعاء، فما تضرعون إلا إليه، والجُؤارُ رفعُ الصَّوتِ في الدُّعاءِ والاستغاثةِ "﴿**ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ**﴾" وهم كفاركُم "﴿**بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾"[5]"بعبادةِ غيرِه بعدَ إزالةِ البلاءِ وبعد الجوارِ هذا إذا كانَ عامَّاً، فإن كان خاصَّاً بالمشركينَ كانَ من البيانِ كأنَّه قالَ: فإذا فريقٌ –وهم أنتم– و معنى الكلامِ التَّعجُّبُ من الإشراكِ بعدَ النَّجاةِ منَ الهلاكِ"[6]"﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ**﴾" من نعمةِ الكشفِ عنهم كأنَّهم قصَدوا بشركِهم كفرانَ النِّعمةِ، وإنكارَ كونها منَ اللهِ "﴿**فَتَمَتَّعُوا**﴾" أمرُ تهديدٍ "﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾" عاقبةَ أمركِم أغلظَ الوعيدِ "﴿**وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ**﴾"[7] "أي: لآلهتهم الَّتي لا علمَ لها؛ لأنَّها جمادٌ فيكونُ الضَّميرُ لما، وجَرَى بالواوِ والنُّونِ مجرَى من يعقلُ، أو التي لا يعلمونَها فيعتقدونَ فيها جهالاتٍ مثلَ أنَّها تنفُعهم، وتشفعُ لهم على أنَّ[أ/281] العائدَ إلى ما محذوفٌ، والمعنى أنَّهم يجعلونَ للأصنامِ الَّتي لا تعقلُ شيئاً من أموالهم يتقرَّبون به إليها قاله مجاهد وغيره، فيكونُ الضَّميرُ في يعلمون للمشركين، أو

1 "ينظر: الشوكاني، *فتح القدير*، 201/3."
2 سورة النحل: 16 / 52.
3 "ينظر: الشوكاني، *فتح القدير*، 202/3."
4 سورة النحل: 16 /53.
5 سورة النحل: 16 / 54.
6 " الشوكاني، *فتح القدير*، 202/3."
7 سورة النحل: 16 / 56.

لجهلهم على أنَّ ما مصدريَّةٌ، والمجهول لهُ محذوفٌ للعلمِ بهِ"[1] "﴿**نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**﴾" من الزَّرعِ والأَنعامِ بقولهم: هذا للهِ وهذا لشركائِنا "﴿**تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ**﴾" على اللهِ من أنّه أمركم بذلكَ، أو من أنَّها آلهةٌ حقيقيةٌ بالتَّقرُّبِ إليها، وهو وعيدٌ لهم عليهِ، وهو رجوعٌ من الخبرِ إلى الخطابِ، والسؤالُ للتَّوبيخِ والتَّقريعِ "﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ**﴾" نزلت في خُزاعةَ وكِنانةَ زعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ فكانوا، ويقولون: ألحقوا البناتِ للبنات "﴿**سُبْحَانَهُ**﴾" تنزيهٌ لهُ من قولهم، أو تعجُّبٌ منه، وهو اعتراضُ بجملةِ لأنَّه مصدرٌ بتقديرِ الفعلِ"﴿**وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**﴾"[2] "يعني؛ البنينَ، وموضعُ ما رُفعَ بالابتداءِ والخبرُ لهم وتمَّ الكلامُ عندَ قولِه سبحانه، وأجازَ الفرَّاءُ كونَها نصباً على تقديرِ ويجعلونَ لهم ما يشتهونَ، وهو وأن أفضَى إلى أن يكونَ ضميرُ الفاعلِ والمفعولِ لشيءٍ واحدٍ، لكنه لا يبعدُ تجويزُه في المعطوف، وأنكره الزَّجَّاجُ"[3] "﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى**﴾" أي: إذا أُخبر بولادتِها له"﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ**﴾" أي: صارَ ودامَ النَّهارِ كلِّهِ "﴿**مُسْوَدًّا**﴾" من الكآبةِ والحياءِ من النَّاسِ، واسوداد الوجهِ كنايةٌ عن الاغتمامِ والتَّشويهِ، والعربُ تقولُ لكلِّ من لقِيَ مكروهاً قد اسودَّ وجههُ، وحكَى الماورديُّ أنَّ المرادَ سوادُ اللَّونِ"[4] "﴿**وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾"[5] "أي: ممتلئٌ غمَّاً من المرأةِ، ابنُ عبَّاس: حزين، وقالَ الأخفشُ: هو الَّذي يكظمُ غيظهُ فلا يُظهرهُ، وقيلَ: غيرَ ذلكَ، فكيفَ تُنسبُ البناتُ

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 230."
2 سورة النحل: 16 / 57.
3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 230."
4 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 230".
5 سورة النحل: 16 / 58.

[ب/281] إليه تعالى"[1]"﴿**يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ**﴾" أي: قومِه، أي: يستَخفي منهم "﴿**مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ**﴾" أي: من سوءِ الحُزنِ والعارِ والحياءِ الَّذي يلحَقهُ بسببِ البنتِ "﴿**أَيُمْسِكُهُ**﴾" أي: محدِّثاً نفسَه متفكِّراً في أن يتركَهُ "﴿**عَلَى هُونٍ**﴾" أي: ذُلٍّ، الكسائيّ: الهُونُ البلاءُ والمشقَّةُ، ثمَّ قيلِ: يرجعُ الهوانُ إلى البنتِ، أي: يمسكها وهيَ مهانةٌ عندَه، وقيلَ: يرجعُ إلى المولودِ له، أي: يُمسكهُ على رَغم أَنفه"[2]"﴿**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**﴾" أي: يخفيهِ فيهِ، وهو ما كانوا يفعلونهُ من دفنِ البنتِ حيَّةً، وقالَ قتادة: كانَ مضرُ وخُزاعةُ يدفنونَ البناتَ أحياءً، وأشدُّهم في هذا تميمٌ زعموا خوفَ القهرِ عليهم، وطمعِ غيرِ الأ كْفاءِ فيهنَّ، وقيلَ: دسُّها إخفاؤُها عن النَّاسِ حتَّى لا تعرفَ، كالمدسوسِ في التُّرابِ لإخفائهِ عن الأبصارِ، وتذكيرُ الضَّميرِ للفظِ ما"[3] "﴿**أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾"[4] حكمُهم هذا حيثُ يجعلونَ لمن تعالى عن الولدِ ما هذا محلُّه عندَهم "﴿**لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ**﴾ أي: لهؤلاءِ الواصفينَ للهِ البناتِ "﴿**مَثَلُ السَّوْءِ**﴾" أي: صفةَ السُّوءِ من الجهلِ والكفرِ، وهو وصفُهم اللهَ تعالى بالصَّاحبةِ والولدِ، أوصفةَ السُّوءِ بمعنى القبيحةِ، وهي وأدُهُم البناتِ مع احتياجهم إليهنّ للنِّكاحِ، وقيلَ: العذابُ والنَّارُ"[5] "﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**﴾"وهوَ الوجوبُ الذَّاتيُّ، والغِنى المطلقُ، والنَّزاهةُ عن صفةِ المخلوقين، قتادة: المثلُ الأعلى الوصفُ الأعلى من الإخلاصِ والتَّوحيدِ، وقيلَ: الصِّفةُ العُليا بأنَّه خالقٌ رازقٌ قادرٌ ومجازي، ابنُ عبَّاس: المثلُ الأَعلى شهادةُ أَلَّا إلهَ إلا الله.وقيلَ: المثلُ الأَعلى قولُه: "﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾"[6] الآيةَ. فإن قيلَ: كيفَ

---

1 " جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلي ، وجلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، *تفسير الجلالين*، (مصر: القاهرة، دار الحديث، ط. 1، د. ن)، 1/ 353. "

2 " نظام الدّين الحسن بن محمّد بن حسين القمي النيسابوري ، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: الشيخ زكريا عميرات، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1416هـ)، 4/ 271."

3 " الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 549/6."

4 سورة النحل: 16 / 59.

5 " الأندلسي، *البحر المحيط في التفسير*، 549/6.

6 سورة النور: 35.

أضافَ المثلَ إلى نفسِه هنا وقد [أ/282] قالَ: (فلا تضربوا لله الأمثال) أي: الأمثالَ الَّتي توجبُ الأشباهَ والنَّقائصَ، والمثلُ الأعلى وصفهُ بما لا شبيهَ لهُ ولا نظيرَ جلَّ وعزَّ"[1] "﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾"[2] "المنفردُ بكمالِ القدرةِ والحكمةِ"[3] "﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ**﴾" أي: بكفرِهم ومعاصيهم وعاجلِهم "﴿**مَا تَرَكَ عَلَيْهَا**﴾" أي: على الأرضِ، وإنَّما أضمرها من غيرِ ذكرٍ لدلالةِ النَّاسِ أو الدَّابةِ؛ لأنَّ الدَّابةَ لا تكونُ إلَّا على الأرضِ "﴿**مِنْ دَابَّةٍ**﴾"[4] "قطُّ بشومِ ظُلمهم، قيلَ: المرادُ من دابَّةٍ كافرةٍ فهو خاصٌّ، أو المعنى أنَّه لو أهلكَ الآباءَ بكفرِهم لم تكن الأبناءُ، وقيلَ: المرادُ بالآيةِ العمومُ أي: لو واخذَ اللهُ النَّاسَ بما كسبُوا ما تركَ على هذهِ الأرضِ من نبيٍّ ولا غيرِه، وقالَ ابنُ مسعود وقرأَ هذهِ الآيةَ: لو يؤاخذُ اللهُ الخلقَ بذنوبِ المذنبين لأصابَ العذابَ جميعُ الخلقِ حتى الجعلانَ في جُحرها، ولأمسكَ الأمطارَ من السَّماءِ، والنَّباتَ من الأرضِ، فماتتْ الدَّوابُّ، ولكنَّ اللهَ يأخذُ بالعفوِ والفضلِ كما قالَ، ويعفو عن كثيرٍ، وفي روايةٍ عنهُ كادَ الجُعَل يهلكُ في جُحره بذنبِ ابن آدمَ" ﴿**وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾" سمَّاهُ لأعمارهم، أو لعذابِهم كي يتوالدوا "﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾" عنهُ "﴿**سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾"[5] "عليهِ بل هلكوا أو عُذِّبوا حينئذٍ لا محالةَ، ولا يلزمُ من عمومِ النَّاسِ، وإضافةُ الظُّلمِ إليهم أن يكونوا كلُّهم ظالمين لجوازِ أن يضافَ إليهم ما شاعَ فيهم، وصدرَ عن أكثرِهم فإن قيلَ لهُ: كيفَ يعمُّ الهلاكَ مع أنَّ فيهم مؤمنينَ ليسوا بظالمين، قيل: يكونُ هلاكُ الظَّالمِ انتقاماً وجزاءً، وهلاكُ المؤمنِ معوَّضاً بثوابِ الآخرةِ[6]، وفي صحيحِ مُسلم: "إذا أرادَ اللهُ بقومٍ عذاباً أصابَ العذابُ [ب/282] من كانَ فيهم، ثم بُعثوا على

---

1 ""البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 5/ 121."

2 سورة النحل: 16 / 60.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 5/ 121."

4 سورة النحل: 16 /61.

5 سورة النحل: 16 /61.

6 "الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والمنهج*، 162/14."

نيَّاتهم"[1]"﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾" أي: ما يكرهونهُ لأنفسهم من البناتِ، والشِّركِ في الرِّئاسةِ، والاستخفافِ بالرُّسلِ، وأراذلِ الأموالِ "﴿وَتَصِفُ﴾" تقولُ "﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾" معَ ذلكَ وهو"﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾" الجنَّةَ، أي: عندَ اللهِ كقوله: "﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾"[2] "﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾" ردٌّ لكلامهمْ وإثباتٌ لضدِّه، وقيلَ: لاردَّ لقولهم وتمَّ الكلامُ، أي: ليسَ كما يزعمون جرمٌ أنَّ لهم النَّارُ، أي: حقاً لهم النَّارُ"[3]"﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾"[4] "أي: مقدَّمونَ إلى النَّارِ، من أفرطته في طلبِ الماءِ أي: قدَّمتهُ، ومنه الحديث: "أنا فرطكم إلى الحوض"[5]، وقيلَ: المعنى منسيُّون، متروكونَ في النَّار، وقُرئَ بكسرِ الرَّاءِ في الإفراطِ في المعاصي، ومعناها مسرفون فيهَا متجاوزونَ الحدَّ"[6]"﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾" رسلاً "﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾" السيِّئةَ فأصرُّوا على قبائحِها وكفروا بالمرسلين "﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾" أي: في الدُّنيا وعبَّر باليومِ عن زمانها، أو فهو وليُّهم حينَ كانَ يزيّن لهم، أو يومَ القيامةِ على أنه حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، أو آتيةٍ، ويجوز أن يقدَّر مضافاً أي: فهو وليُّ أمثالهم اليومَ، والوليُّ القرينُ أو النَّاصرُ"[7]"﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"[8] "في القيامةِ، وقيلَ: فهوَ قرينُهم في النَّار، وأُطلقَ على يومِ القيامةِ اسم اليومِ لشهرتهِ، وقيلَ: يقالُ لهم يومَ القيامةِ هذا وليُّكم فاستنصِروا به لينجِّيكم على جهةِ التَّوبيخِ لهم"[9]"﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾" يامحمّدُ "﴿الْكِتَابَ﴾" القرآن"﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾" أي للنَّاس"﴿الَّذِي

---

1 "صحيح مسلم، كتاب الجنة، 4/ 2206، (2879)."

2 سورة فصلت: 50/41.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 232."

4 سورة النحل: 16 / 62.

5 "صحيح *البخاري*، كتاب الفتن، 9/ 46، (7049)."

6 "أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تح: الدكتور أحمد محمّد الخراط، (سوريا: دمشق، د.ط، د.ن)، 7/ 248."

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 231/3."

8 سورة النحل: 16 / 63.

9 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 232."

اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾" من التَّوحيدِ، والقدرِ، وأحكامِ المعادِ، وأحكامِ الأفعالِ، فتقومُ الحُجَّةُ عليهم ببيانكَ "**﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**"[1][أ/283] "معطوفاً على محلِّ لتبيّن فإنَّهما في فعلا المنزلِ، بخلافِ التَّبيين ومجازِ الكلام وما أنزلنا عليك الكتاب إلا تبياناً وهدى أي: رُشداً ورحمةً للمؤمنين"[2] "**﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**" أي: أنبتَ فيها أنواعَ النَّباتِ بعد يَبَسِها، وأعادَ الكلامَ إلى تعديدَ النِّعمِ وبيانِ كمالِ القدرة "**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾**" المذكور "**﴿لَآيَةً﴾**" أي دلالةً على البعثِ وعلى وحدانيتهِ "**﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**"[3] عنِ الله تعالى بالقلوبِ سماعَ تدبُّرٍ لا بالآذان "**﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾**" أي دلالةً يُعْبَرَ بها من الجهلِ إلى العلمِ، وأصلُ العبرةِ تمثيلُ الشَّيءِ بالشَّيءِ ليعرفَ حقيقتَه من طريقِ المشاكلةِ، ومنه فاعتبروا، والأنعامُ هنا الأصنافُ الأربعةِ: الإبلُ والبقرُ والضَّانُ والمعزُ، قال أبو بكرٍ الورَّاقُ: العبرةُ في الأنعامِ تسخيرُها لأربابها بطاعتِها لهم، وتمرُّدك على ربِّكَ وخلافكَ له من أعظمِ العِبرِ، بريءٌ يحملُ مذنباً"[4] "**﴿نُسْقِيكُمْ﴾**"قُرئ بضمِّ النُّونِ وبفتحِها من أَسقى وسَقى[5] قيل: هما لغتانِ، وقيلَ: يقالُ لما كانَ من يدكَ إلى فيهِ سقيتهُ، فإذا جعلتهُ لهُ شراباً أو عَرَّضته لأن يشربَ بفيهِ أو لزرعهِ قلتَ أسقيتهُ"[6] "**﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾**" إنَّما ذُكرَ الضَّميرُ ووحَّده هنا وأنَّثه في المؤمنينَ للمعنى، فإن الأنعامَ اسم جمعٍ ولذلكَ عدَّ سيبويه[7] في المفرداتِ المبنيَّة على أفعالً كأحلافٍ وأكياسٍ، قالَ سيبويه: والعربُ تخبرُ عن

---

1 سورة النحل: 16 / 64.

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 232."

3 سورة النحل: 16 / 65.

4 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 233."

5 سقط من النسخة (ب) كلمة (وسقى) .

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 233."

7 "عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، أبو بشر ، اديب، نحوي. أخذ النحو والادب عن الخليل بن احمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الاخفش وعيسى بن عمر، وورد بغداد، وناظر بها الكسائي، وتعصبوا عليه، وجعلوا للعرب جعلا حتى وافقوه على خلافه. من آثاره: كتاب سيبويه في النحو ،الدمشق، *معجم المؤلفين*، 8 / 10 ."

الأنعامِ بخبرِ الواحدِ، قال ابن العربي[1]: وما أراهُ عوَّل عليه إلا من هذهِ الآية، وهذا لا يشبهُ منصبهُ ولا يليقُ بإدراكهِ، وقيلَ: لما كان لفظُ الجمعِ وهو اسمُ الجنسِ يُذكَّرُ ويؤنَّثُ فيقالُ: هو الأنعامُ [ب/283] وهي الأنعامُ جازهُ عودُ الضَّميرِ بالتَّذكيرِ، وقالَ الكسائيّ: معناهُ ممَّا في بطونِ ما ذكرنا فهو عائدٌ على المذكورِ، قال تعالى : "﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا**﴾"[2] وقال الكسائيُّ أيضاً: المعنى مما في بطونِ بعضهِ، إذ الذُّكورُ لا ألبانَ لها، وقال ابنُ العربي: إنَّما يرجعُ التَّذكيرُ إلى معنى الجمعِ، والتَّأنيثُ إلى معنى الجماعةِ"[3]، "﴿**مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا**﴾" الفرثُ: الزّبلُ الذي ينزلُ إلى الكرشِ، فإذا خرجَ منه لم يُسمَّ فرثاً، وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ البهيمة إذا اعتلفتْ، وانطبخَ العلفُ في كرشِها كان أسفلُه فرثاً، وأوسطهُ لبناً، وأعلاهُ دماً، ولعلَّه –إن صحَّ– فالمرادُ أن أوسطهُ يكونُ مادَّةَ اللَّبنِ، وأعلاهُ مادَّة الدَّمِ الَّذي يغذي البدنَ؛ لأنَّهما لا يتكَّونان في الكرشِ بل الكبدُ يجذبُ صفاوةَ الطَّعامِ المنهضمِ في الكرشِ، ويبقى ثقلهُ وهو الفرثُ، ثم يمسكها، ربما يهضمها هضماً ثانياً فيحدثُ أخلاطاً أربعةً معها مائيَّةٌ، فتميزُ القوَّةُ المميَّزة تلكَ المائيَّة بما زادَ على قدرٍ من المرَّتين، وتدفعها إلى الكليةِ والمرارةِ والطِّحالِ، ثم توزّعُ الباقي على الأعضاءِ بحسبها، فتجرى إلى كلٍّ حقَّه على ما يليقُ به بتقديرِ الحكيمِ العليمِ، ثم إن كانَ الحيوانُ أنثى زادَ أخلاطُها على قدرِ غذائِها لاستيلاءِ البردِ والرُّطوبة على مزاجِها، فيندفعُ الزَّائدُ إلى الرَّحم لأجلِ الجنينِ، فإذا انفصل انصبَّ ذلكَ الزَّائدُ أو بعضُه إلى الضُّروعِ فيبيضُّ لمجاورةِ لحمها الغدديَّة فيصيرُ لبناً حكمةً بالغةً، فمن تدبَّرَ صنعَ اللهِ تعالى في إحداثِ الأخلاطِ والألبانِ والأسبابَ المولّدةِ لها، والقِوى المتصرّفةِ فيها كُلَّ وقتٍ على ما يليقُ به اضطرَّ إلى الإقرارِ بكمالِ حكمتهِ [أ/284] وتناهي رحمتِه، ومن الأولى تبعيضيَّة ؛لأنَّ اللَّبن

---

1 "محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله ابن احمد بن محمّد بن عبد الله، المعافري، الاندلسي، الاشبيلي، المالكي، المعروف بابن العربي (ابو بكر) ،عالم مشارك في الحديث والفقه والاصول وعلوم القرآن والادب والنحو والتاريخ وغير ذلك ، من تصانيفه الكثيرة: شرح الجامع الصحيح للترمذي، المحصول في الأصول ، الدمشقي، *معجم المؤلفين*، 10 / 242 ".

2 سورة الإنسان: 29.

3 "الشوكاني، *فتح القدير*، 7/ 268."

بعضُ ما في بطونِها[1] والثَّانية ابتدائيَّة كقولكَ: سقيتُه من الحوضِ لأنَّ بينَ[2] الفرثِ والدَّمِ المحلُّ الَّذي يبتدئُ منهُ الإسقاءُ، وهي متعلِّقةٌ بنسقيكم، أوحال من لبن قُدِّمَ عليهِ لتنكيرِه، وللتَّنبيهِ على أنَّه موضعُ العِبرةِ"[3] "﴿**خَالِصًا**﴾"[4] صافياً لا يستصحبهُ لونُ الدَّمِ، ولا رائحةُ الفَرثِ، أو مُصفًّى مما يصحبهُ من الأجزاءِ الكثيفةِ "﴿**سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾" سهلَ المرورِ في حلقِهم لا يغصُّ بهِ من شَرِبَه، ورُويَ أنَّ اللَّبن لم يشرقْ به أحدٌ قطُّ، وقيلَ: لذيذاً هنيئاً"[5]"﴿**وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ**﴾" متعلِّقٌ بمحذوفٍ، أي: ونسقيكُم من ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ، أي: من عصيرِها[6] وقوله: "﴿**تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا**﴾" استئنافٌ لبيانِ الإسقاءِ، وقالَ الطَّبريّ: التَّقدير ومن ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ ما تتَّخذونَ فحُذفَ ما دلَّ على الحذفِ؛ قولُه منهُ ، أو المعنى ومن ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ ثمرٌ، وقيلَ: معنى منهُ من المذكورِ فلا يكونُ في الكلامِ حذفٌ وهوَ أولى، ويجوزُ أن يكونَ عطفاً على الأنعامِ أي: ولكم في ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ عبرةً، وتتَّخذونَ مستأنفٌ، وقيلَ: غيرَ ذلك والسَّكَر مصدرٌ سمِّيَ به الخمرُ، قالَ ابنُ عبَّاس: نزلتْ هذهِ الآيةُ قبلَ تحريمِ الخمرِ، وقيلَ: السَّكَرُ الخلُّ بلغةِ الحبشةِ"[7] "﴿**وَرِزْقًا حَسَنًا**﴾" كالتَّمرِ والزَّبيبِ والدِّبسِ والخلِّ, والآيةُ إن كانَ السَّابقُ على تحريمِ الخمرِ فدالّةٌ على كراهتِها، وإلَّا فجامعةٌ بين العتابِ والمِنَّةِ، وقيلَ: السَّكَرُ النَّبيذُ، وقيلَ: الطَّعمُ، كما قالَ: جُعلتْ أغراضُ الكلامِ سكراً أي: تتقلَّبُ بأعراضِهم، وقيلَ: غيرَ ذلك"[8] "﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً**

---

1 "سقط من النسخة (ب) عبارة (لأن اللبن بعض مافي بطونها)" .

2 "سقط من النسخة (ب) عبارة (الحوض لأن بين) ".

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 233."

4 سورة النحل: 16 / 66.

5 "أحمد بن مصطفى المراغي ، *تفسير المراغي*، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط.1، 1365هـ/ 1946م)، 14/"101".

6 "المراغي، *تفسير المراغي*، 14/101".

7 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 128."

8 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 128".

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾"[1][ب/284] يستعملونَ عقولهَم بالنَّظرِ والتَّأمُّلِ في الآياتِ "**﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ﴾**" الوحيُ يكونُ بمعنى الإلهامِ؛ وهوَ ما يخلقُهُ اللهُ تعالى في القلبِ ابتداءً من غيرِ سببٍ ظاهرٍ، قالَ تعالى: "**﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**"[2] "ومن ذلكَ إلهامُ البهائمِ، وما يخلقُ اللهِ[3] فيها من درْكِ منافعِها واجتنابِ مضارِّها، وتدبيرِ معاشِتِها، فمعنى أَوحى هُنا ألهمها وقذفَ في قلوبِها، وسُمِّيَ نحلاً؛ لأنَّ اللهَ تعالى نحلَه العسلَ يخرجُ منهُ، قالَ الجوهريّ[4]: والنَّحلُ والنَّحلةُ الدَّبْر تقعُ على الذَّكرِ والأنثى، حتَّى يقالُ يعسوبٌ وهوَ سيِّدُ النَّحلِ إذا وقفَ وقفتْ، واذا سارَ سارتْ"[5] "**﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾**" أي: بأن اتَّخذي، ويجوزُ أن تكونَ مفسِّرة؛ لأنَّ في الإيحاءِ معنى القولِ وتأنيثُ الضَّمير على المعنى فإنَّ النَّحلَ مذكَّرٌ"[6] "**﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾**"[7] "ذُكر بحرفِ التَّبعيض؛ لأنَّها لا تبني في كلِّ شجرٍ على كلِّ جبلٍ، وأسمى ما تبنيهِ تستعسلُ فيه بيتاً تشبيهاً من بيتِ الإنسانِ؛ لما فيه من حُسنِ الصَّنعة وصحَّة القسمةِ التي لا يَقوى عليها حُذَّاقُ المهندسين إلَّا بآلاتٍ وأنظارٍ دقيقةٍ، فجعلَ اللهُ بيوتَ النَّحلِ في هذهِ الثَّلاثةِ، إمَّا في الجبالِ وكُوَّاتها، وإمَّا في متجوَّفِ الأشجارِ، وإمَّا في ما يعرشُ ابنُ آدم من الخلايا والحيطانِ، وعرَشَ معناهُ هيَّأَ، قالِ ابنُ العربيِّ: ومن عجيبِ ما خلقِ اللهُ في النَّحلِ أن ألهمها اتِّخاذَ بيوتٍ مسدَّسةٍ فبذلكَ اتَّصلت حتَّى صارتْ كالقطعةِ الواحدةِ، وذلكَ أنَّ الأشكالَ من الثَّلاثِ إلى العشرِ إذا جُمَع كلُّ واحدٍ منها إلى أمثالهِ لم يتَّصل، وجاءتَ بينهما فروجٌ إلا الشَّكلُ

---

1 سورة النحل: 16 / 67.

2 سورة الشمس، 91/ 7-8.

3 وردت في النسخة (ب) كلمة (سبحانه) .

4 "إبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق من أعلام رجال الحديث، من أهل بغداد أصله من طبرستان. روى عنه أصحاب الكتب الستة، عدا البخاري. الزركلي، *الأعلام*، 1/ 40."

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 131".

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 129".

7 سورة النحل: 16 / 68.

[285/أ] المسدَّسُ فإنه إذا جُمع إلى أمثالِهِ اتصلت كأنَّهُ القطعةُ الواحدةُ انتهى، ولعلَّ ذكرَ النَّحلِ للتَّنبيهِ على ذلكَ"[1] "﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾" أي: من كلِّ ثمرةٍ تشتهيها، مرّها وحلوها فليستْ على العمومِ، فهي كقولهِ تدمّرُ كلَّ شيءٍ، وذلكَ أنَّها إنَّما تأكُل النّوَّارَ من الأشجارِ"﴿فَاسْلُكِي﴾" ما أكلتِ "﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾" في مسالكهِ الَّتي تحيلُ فيها بقدرتِه النَّوَّارَ المرَّ عسلاً من أجوافكِ، أو المعنى فاسلكي الطُّرقَ الَّتي ألهمكِ في عملِ العسلِ، أو فاسلكي راجعةً إلى بيوتكِ سبلَ ربِّكِ لا يتوعَّرُ عليكِ ولا يلتبسُ، وقيلَ: المعنى ادخُلي طرقَ ربِّكِ لطلبِ الرِّزقِ في الجبالِ وخلالَ الأشجارِ"[2]"﴿ذُلُلًا﴾" جمعُ ذُلول وهي حالٌ من السُّبُلِ أي: مُذلَّلةٌ ذلَّلها اللهُ وسهَّلها لكَ، أو من الضَّميرِ في اسلُكي أي: وأنت ذُللٌ منقادةٌ "﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾" عدلَ بهِ عن خطابِ النَّحلِ إلى خطابِ النَّاسِ؛ لأنَّهُ محلٌّ للإنعامِ عليهم، والمقصودُ من خلقِ النَّحلِ وإلهامهِ لأجلهم"﴿شَرَابٌ﴾" يعني العسلَ؛ لأنَّه ممَّا يُشرب، واحتجَّ به من زعمَ أنَّ النَّحلَ يأكلُ الأزهارَ والأوراقَ العطِرةَ فيستحيلُ في باطنها عسلاً ثم تبقى ادِّخاراً للشِّتاءِ، ومن زعمَ أنَّها تلتقطُ بأفواهها أجزاءَ طَلِّيَّةً حلوةً صغيرةً متفرقةً على الأوراقِ والأزهارِ وتضعها في بيوتها ادِّخاراً، فإذا اجتمعَ في بيوتِها شيءٌ كثيرٌ منها كانَ العسل، فُسِّر البطونُ بالأفواهِ، وجمهورُ النَّاسِ على أنَّه يخرجُ من أفواهِ النَّحلِ، ورُويَ عن عليٍّ رضيَ الله عنه أنَّهُ قالَ في تحقير الدُّنيا: "أشرفُ لباسِ ابن آدمَ فيها لعابُ دودةٍ، وأشرفُ شرابهِ رجيعُ نحلةٍ" فظاهرُ هذا أنَّه من غيرِ الفمِ، وبالجملةِ فإنَّهُ يخرجُ ولا يدري[ب/285] أَمِنْ فمِها أو أسفلِها، واللهُ أعلمُ"[3]"﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾" أبيضٌ وأصفرٌ وأحمرٌ وأسودٌ،والأمُّ واحدةٌ، إمَّا لسببِ اختلافٍ من النَّحلِ أو للفصلِ"﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾"إمَّا بنفسهِ كالأمراضِ البلغميَّةِ أو مع غيره كما في سائرِ

---

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 129".

2 " الشوكاني، *فتح القدير*، 3/ 211."

3 " إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء ، *روح البيان*، (لبنان: بيروت، دار الفكر، د.ط، د. ن)، 8/ 508."

الأمراضِ، إذ قلَّ ما يكونُ معجونٌ إلَّا والعسلُ جزءٌ منهُ مع أنَّ التنكيرَ فيهِ مُشعِرٌ بالتَّبعيضِ، ويجوزُ أن يكونَ للتَّعظيمِ، وقيلَ: الضَّميرُ للقرآنِ، ورُويَ عن ابنِ عبَّاس ومجاهدٍ والحسنِ وغيرهم، وقيل: لما بيَّنَ اللهُ من أحوالِ النَّحلِ"[1] "﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾"[2] أي: يعتبرون، فإنّ من تدبَّرَ اختصاصَ النَّحلِ بتلكَ العلومِ الدَّقيقةِ والأفعالِ العجيبةِ حقَّ التَّدبُّرِ علمَ قطعاً أنَّهُ لا بُدَّ له من قادرٍ حكيمٍ يلهِمُها ذلكَ ويحملُها عليهِ "﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ**﴾" ولم تكونوا شيئاً "﴿**ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ**﴾" بآجالٍ مختلفةٍ "﴿**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ**﴾" أي يعادُ "﴿**إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**﴾" أخسِّه وأرداهُ يعني؛ الهرمَ الذي يشابهُ الطُّفوليَّة في نقصانِ القُوَّةِ والعقلِ، قيلَ: هو خمسٌ وتسعونَ سنةً، وقيلَ: خمسٌ وسبعونَ، فائدةً عن عكرمةَ: من قرأَ القرآنَ لم يُردَّ إلى أرذلِ العمرِ، أي: لم يصرْ بهذهِ الحالةِ"[3] "﴿**لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾" أي: يصيرُ إلى حالةٍ شبيهةٍ بحالةِ الطُّفوليَّةِ في النِّسيانِ وسوءِ الفهمِ، وقد قيلَ: أنَّ هذا لا يكونُ للمؤمنِ؛ لأنه لا ينزعُ عنه علمهُ، المعنى المقصودُ الاحتجاجُ على مُنكري البعثِ، أي: الَّذي ردَّهُ إلى هذهِ الحالةِ قادرٌ على أن يُميته ثم يحييه، وشيئاً منصوبٌ على المصدرِ عند البصريِّن، وبيعلمَ عند الكوفييّن"[4] "﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**﴾" بمقاديرِ أعمالهم "﴿**قَدِيرٌ**﴾"[5]" يميتُ الشَّابَّ النَّشيطَ، ويبقّى الهرمُ الفاني وفيهِ [أ/268] تنبيهٌ على أنَّ تفاوتَ آجالِ الخلائقِ ليسَ إلَّا بتقديرِ قادرٍ حكيمٍ ركَّبَ بُنيتهم، وعدَّلَ أمزجتَهم على قَدَرٍ معلومٍ، ولو كانَ ذلكَ بمُقتضى الطِّباعِ لم يبلغ التَّفاوتَ هذا المبلغ"[6] "﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾" فمنكم غنيٌّ

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 233."

2 سورة النحل: 16 /69.

3 "أبو حفص سراج الدّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، *اللباب في علوم الكتاب*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1419هـ/1998م)، 12/ 115."

4 "النعماني، *اللباب في علوم الكتاب*، 12/ 115."

5 سورة النحل: 16 / 70.

6 "أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، (لبنان: بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، 1412هـ/ 1992م)، 4/ 329."

ومنكم فقيرٌ، ومنكم مواليَ يتولَّون رزقَهم ورزقَ غيرِهم، ومنكم مماليكَ خلافَ ذلكَ "﴿**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ**﴾" أي بمُعطى رزقِهم "﴿**عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾" أي: على مماليكِهم، فإنَّ ما يُردُّونَ عليهم رزقَهم الَّذي جعلهُ اللهُ في أيديهم "﴿**فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾" أي: في الموالي والمماليكِ سواءً في أنَّ اللهَ رزقَهم، فالجملةُ لازمةٌ للجملةِ المنفيَّةِ، أو مقرّرةً لها، ويجوزُ أن تكونَ واقعةً موقعَ الجوابِ كأنَّه قيلَ"[1]: "﴿**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾" فيستَووا في الرّزق، على أنَّه ردٌّ وإنكارٌ على المشركين، فإنهم يشركونَ بالله بعضَ مخلوقاتهِ في الألوهيّة، ولا يرضونَ يشاركهم عبيدُهم فيما أنعمَ اللهُ عليهم، فيساوونهم فيه"[2]. والمعنى؛ ليس لهم شركاءٌ من مماليكهم في أموالِهم فكيفَ يجعلونَ بعضَ مماليكِ اللهِ شركاءَ له، ودلَّ هذا على أنَّ العبدَ لا يملكُ"[3] "﴿**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾"[4] "حيث يتَّخذونَ له شركاءَ، وحيثُ أنكروا أمثالَ هذهِ الحِجج بعدَ ما أنعمَ اللهُ عليهم بإيضاحها، والباءُ لتضمُّنِ الجحودِ معنى الكفر، وقُرئ بالتَّاءِ لقوله: خلقكم وفضَّلَ بعضَكم[5] "﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾" جعلَ بمعنى خلقَ أي: خلقَ لكم من جِنسكم أزواجاً لتأنسوا بها، ولتكونَ أولادُكم مثلَكم، وقيلَ: هو حَوّاءُ من آدم"﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً**﴾" أي: وأولاد، أولاد أو [ب/286] بناتٍ، فإن الحافد هو المسرعُ في الخدمةِ، ومنه قولهم: وإليكَ نسعى ونحفِدُ، والبناتُ نجدُ من في البيوتِ أتمَّ خدمةٍ، وقيلَ: هم الأختانُ على

1 "القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 330/4."

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 134/3."

3 "القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 330/4."

4 سورة النحل: 16 / 71.

5 "القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 331/4."

البناتِ[1]، قالَ الأصمعي:[2] الختنُ ما كانَ من قِبل المرأةِ مثلَ أبيها وأخيها والأصهارِ منها جميعاً، وقيلَ: الرَّبائبُ، وروى ابنُ القاسمِ[3] عن مالكَ: الحفدةُ الخدمُ والأعوانُ، وعن ابنِ عبَّاس: همْ الأعوانُ، القرطبي[4]: الحفدةُ أولادُ الأولادِ، وهوَ ظاهرُ القرآنِ بلْ نصُّهُ، ألا تَرى أنَّهُ قالَ: وجعلَ لكمْ من أزواجِكم بنينَ وحفدةَ فجعلَ البنينَ والحفدةَ منهنَّ انتهى. ووجودُ الأبناءِ يكونُ من الزَّوجينِ معاً، ولكنَّهُ لما كانَ خلقُ المولودِ من الزَّوجةِ، وانفصالهُ عنها أُضيف إليها، ولذلكَ تبيعُها في الرِّقِّ والحُرِّيَّة، قالَ ابنُ العربيّ: سمعتُ إمامَ الحنابلةِ بمدينةِ السَّلامِ أبا الوفا عليّ بنَ عقيل[5] يقولُ: إنَّما تَبعَ الولدُ الأمَّ في الماليَّةِ، وصارَ حكمُها في الرِّقِّ والحُرِّيَّة؛ لأنَّه انفصلَ عن الأبِ نطفةً لا قيمةَ له، ولا ماليَّةَ فيه، ولا منفعةَ، وإنَّما اكتسبَ ما اكتسبَ بها ومنها، فلأجلِ ذلكَ تبعها كما لو أكلَ رجلٌ تمراً في أرضِ رجلٍ، وسقطتْ منه نواةٌ في الأرضِ من يدِ الآكلِ، فصارتْ نخلةً فإنَّها مُلكُ صاحبِ الأرضِ دونِ الأكلِ بإجماعٍ من الأمَّةِ لأنَّها انفصلتْ عن الآكلِ ولا قيمةَ لها"[6]"﴿**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾" أي: من اللَّذائذ منِ الحبوبِ والثِّمارِ والحيوانِ، وقيلَ: منَ الحلالاتِ "﴿**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**﴾"وهوَ أنَّ الأصنامَ تنفعُهم أو أنَّ من الطَّيِّباتِ ما يحرَّم عليهم كالبحائرِ والسَّوائبِ

---

1 "علاء الدّين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن ، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح: تصحيح محمّد علي شاهين، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1415هـ)، 3/ 89."

2 "عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا ، الزركلي، *الأعلام*، 4 / 162 ".

3 "عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقيّ المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم: فقيه، جمع بين الزهد والعلم. وتفقه بالإمام مالك ونظرائه. مولده ووفاته بمصر ، الزركلي، *الأعلام*، 3 / 323 ".

4 "محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، "القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه الجامع لأحكام القرآن ، الزركلي، *الأعلام*، 5 / 322 ".

5 "ابن عقيل أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمّد الإمام، العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمّد بن عقيل بن عبدالله البغدادي، الظفري الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، ومسجده بها مشهور. الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 19/ 443."

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 234."

"﴿**وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾"[1] "حيثُ أضافوا نعمه إلى الأصنامِ أو حرَّموا ما أحلَّ اللهُ لهم، وتقديمُ الصِّلة على [287/أ] الفعلِ إما للاهتمامِ، أو لإيهامِ التَّخصيصِ مبالغةً أو للمحافظةِ على الفواصلِ"[2]"﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾" أي غيرَه "﴿**مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا**﴾" من مطرٍ ونباتٍ، ورزقاً أن جعلتُه مصدراً، فشيئاً منصوبٌ بهِ وألا تبدَّل عنه، والأوَّلُ للفرَّاءِ والثَّاني للأخفش، والمعنى يعبدونَ مالا يملكُ أن يرزقَهم شيئاً"[3] "﴿**وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾"[4] "أن يتملَّكوهُ أو لا استطاعةَ لهم أصلاً، وجمعُ الضَّمير فيهِ وتوحيده في لا يملكُ لأنَّ ما مفردٌ في الآلهةِ ويجوزُ أن يعودَ إلى الكفَّارِ، أي: ولا يستطيعُ هؤلاءِ مع أنَّهم أحياءُ متصرِّفون شيئاً من ذلكَ، فكيفَ بالجماد؟"[5] "﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾" الأمثالَ أي: فلا تجعلوا للهِ مثلاً تشركونَ به أو تقيسونَه عليهِ، فإنَّ ضربَ المثلِ تشبيهُ حالٍ بحالٍ"[6] "﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ**﴾" فسادَ ما تقولونَه عليهِ من القياسِ على أنَّ عبادةَ عبدٍ الملكَ أدخلُ في التَّعظيمِ من عبادتِه، أو عظمُ جُرمكم فيما تفعلونَ، أو يعلمُ أن لا مثلَ لهُ "﴿**وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾"[7] "ذلكَ ولو علمتموهُ لما تجرَّأتم عليهِ[8] فهو تعليلٌ للنَّهيِ، أو المعنى أنَّه يعلمُ كيفَ الأشياءِ وأنتم لا تعلمون، ويجوزُ أن يرادَ فلا تضربُوا للهِ الأمثالَ، فإنَّهُ يعلمُ كيفَ يضربُ الأمثالَ وأنتمْ لا تعلمون، ثمَّ علمهم كيفَ تُضربُ ،فضربَ مثلاً لنفسهِ ولمن عُبدَ دونَه فقالَ"[9]:"﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا**﴾" بدلٌ من مثلاً "﴿**مَمْلُوكًا**

---

1 سورة النحل: 16 / 72.

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 234."

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 234."

4 سورة النحل: 16 / 73.

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 235."

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 235."

7 سورة النحل: 16 / 74.

8 وردت في النسخة (ب) عبارة (فيما تفعلون أو يعلم أ لامثيل له) .

9 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 235."

لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾" مثَّلَ ما يشركُ بالمملوكِ العاجزِ عن التَّصرُّفِ رأساً، ومثَّلَ نفسَه بالحرِّ المالكِ الَّذي رزقهُ اللهُ مالاً كثيراً فهو يتصرَّفُ وينفقُ منهُ كيفَ يشاءُ، واحتجَّ بامتناعِ الإشراكِ [ب/٢٨٧] التَّسويةِ بينهما مع تشاركهما في الجثيَّةِ والمخلوقيةِ مع امتناعِ التَّسويةِ بين الأصنامِ الَّتي هيَ أعجزُ المخلوقاتِ وبينَ اللهِ الغنيّ القادرِ على الإطلاقِ، وقيلَ: تمثيلٌ للكافرِ المخذولِ والمؤمنِ الموفَّقِ، قاله قتادةُ، والأوَّلُ قولُ الجمهورِ، وتقيُّد العبدِ بالمملوكِ للتَّمييزِ عن الحُرِّ، فإنَّه أيضاً عبدُ الله، وبِسَلْبِ القُدرة للتَّمييزِ عن المكاتبِ والمأذونِ وجعلهِ قسيماً للمالكِ المتصرِّفُ، يدلُّ على أنَّ المملوكَ لا يملكُ، والأظهرُ أنَّ من موصوفةٌ أي: حُرَّاً ليطابقَ عبداً، وجمعَ الضَّمير في يستوون لأنَّه للجنسينِ، فإنَّ المعنى هل يستوي الأحرارُ والعبيدُ؟ لا"[1]"**﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**" أي: كلُّ الحمدُ لهُ لا يستحقُّه غيرُه "**﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**"[2] "أي: أكثرُ المشركينَ لا يعلمونَ أنَّ الحمدَ لله، وجميعُ النِّعمة منهُ، وذكرَ الأكثرَ، والمرادُ الجميعُ فهو خاصٌّ أريدَ بهِ العمومُ، وقيلَ: المعنى بل أكثرَ الخلقِ لا يعلمونَ؛ وذلكَ لأنَّ أكثرُهم المشركون"[3] "**﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾**" بدل "**﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾**" ولدٌ أخرسٌ لا يفهمُ ولا يُفهم "**﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾**" من الصَّنائعِ والتَّدابيرِ لنقصانِ عقلِه"**﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾**" أي: عيَّالٌ وثقيلٌ على ما يلي أمرَه"**﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾**" أي: حيثُ ما يرسله مولاهُ"[4] "**﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾**" أي: بنجحٍ وكفايةِ مُهمٍّ "**﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾**" أي: الأبكمُ المذكورُ"**﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾**" ومن هو فهيمٌ منطيقٌ، ذو كفايةٍ ورشدٍ، ينفعُ النَّاسَ يحثُّهم على العدلِ الجامعِ للفضائلِ"**﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**"[5]

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 235."

2 سورة النحل: 16 / 75.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 236."

4 وردت في النسخة (ب) عبارة (في أمر) .

5 سورة النحل: 16 76.

"أي: وهو في نفسهِ على طريقٍ مستقيمٍ لا يتوجَّه إلى مطلبٍ إلا ويبلغهُ بأقربِ سعيٍ، وإنما قابلَ تلكَ الصِّفاتِ بهذينِ الوصفينِ لأنَّهما كمالُ ما يقابلهما وهذا [أ/288] تمثيلٌ ثانٍ ضربَهُ اللهُ لنفسهِ وللأصنامِ لإبطالِ المشاركةِ بينهُ وبينها، أو للمؤمنِ والكافرِ"[1] "﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾" يختصُّ به علمُه لا يعلمهُ غيرُه، وهو ما غابَ فيهما عنِ العبادِ، بأن لم يكن محسوساً ولم يدلّ عليه محسوسٌ، وقيلَ: هوَ يومُ القيامةِ فإنَّ علمهُ غائبٌ من أهلِ السَّمواتِ والأرضِ"[2]"﴿**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ**﴾" أي: وما أمرُ قيامِ السَّاعةِ في سُرعته وسهولته"﴿**إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ**﴾" أي: كرجعِ الطَّرفِ من أعلى الحدقةِ إلى أسفلها "﴿**أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾" أي: أوامرها أقربَ منهُ بأن يكونَ في زمانِ نصفِ تلكَ الحركةِ، بل في الآن الَّذي يبتدئُ فيهِ فإنَّهُ يحيي الخلائقَ دفعةً، وما يوجدُ دُفعةً كانَ في آنٍ، واو للتَّخيير، وقيلَ: بمعنى بل، وقيلَ: المعنى أنَّ قيامَ السَّاعةِ، وإن تَراخى فهوَ عندَ اللهِ كالشَّيءِ الذي يقولونَ فيهِ هو كلمحِ البصرِ، وهوَ أقربُ مبالغةً في استقرابهِ، وقالَ الزَّجَّاجُ: لم يُرد أنَّ السَّاعةَ تأتي في لمحِ البصرِ، وإنما وصفَ سرعةَ القدرةِ على الإتيانِ بها، وسُمِّيت القيامةُ ساعةً؛ لأنَّها تفاجئُ النَّاسِ في ساعةٍ فيموتُ الخلقُ بصيحةٍ"[3]"﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾"[4] يقدِّرُ أن يحيَ الخلائقَ دُفعةً [5]كما قدَّرَ أن أحياهم متدرِّجاً ثم دلَّ على قدرتِه فقالَ:"﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾" الجملةُ حالٌ أي: جُهَّالاً مستصحبينَ جهلَ الجَمَاديَّةِ فلا تعلمونَ شيئاً من منافعكم، وقيلَ: لا تعلمونَ شيئاً مما أخذَ عليكم من الميثاقِ في أصلابِ آبائكم، وقيلَ: مما قضَى عليكم من السَّعادةِ والشَقاوةِ"[6] "﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**﴾" أداةَ

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 236."

2 " محمّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، *زهرة التفاسير*، (لبنان، دار الفكر العربي، د.ط، د.ن)، 223/1."

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 236."

4 سورة النحل: 16 / 77.

5 وردت في النسخة (ب) كلمة (واحدة) .

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 236."

تتعلَّمون بها فتُحِسُّونَ بمشاعركم جزيئاتَ الأشياءِ فتدركونها ثم تنتبهونَ [ب/288] بقلوبِكم لمشاركاتٍ ومباياناتٍ بيّنهما بتكرارِ الإحساسِ حتَّى تتحصَّلَ لكم العلومُ البديهيَّةُ، وتتمكَّنوا من تحصيلِ المعالمِ الكسبيَّةِ بالنَّظرِ فيها، وقيلَ: جعلَ لكمُ السَّمعَ لتسمعُوا به الأمرَ والنَّهيَ والأبصارَ لينظرُوا بها آثارَ صنعهِ، والأفئدةَ لتصلوا بها إلى معرفتهِ، وقدْ قيلَ أنَّ في ضمنِ قولهِ، وجعلَ لكمُ السَّمعَ إثباتُ النُّطق؛ لأنَّ من لم يسمعْ لم يتكلمْ فإذا وجدت حاسَّةُ السَّمعِ وُجدَ النُّطقُ، وأصلُ أمَّهات أُمَّات فزيدتِ الهاءُ تأكيداً كما زيدتْ في إهراق"[1]"﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾"[2] أي: كي تعرفُوا ما أنعمَ اللهُ عليكم طوراً بعد طورٍ فتشكروه "﴿**أَلَمْ يَرَوْا**﴾" قُرئ بالتَّاء على الخطابِ وبالياءِ على الخبرِ "﴿**إلى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ**﴾" أي: مذلَّلاتٍ للطَّيرانِ بما خلقَ اللهُ لها من الأجنحةِ والأسبابِ المواتيةِ له، وقيلَ: مسخَّراتٍ لمنافعِكم "﴿**فِي جَوِّ السَّمَاءِ**﴾" أي: في الهواءِ المتباعدِ من الأرضِ، وأضافَ الجوَّ إلى السماءِ لارتفاعهِ عن الأرضِ"﴿**مَا يُمْسِكُهُنَّ**﴾" فيه "﴿**إِلَّا اللَّهُ**﴾" فإنَّ ثِقلَ جسدِها يقتضي سُقوطَها، ولا علاقةَ فوقَها، ولا دِعامةَ تحتَها "﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾" أي: في تسخيرِ الطَّيرِ للطَّيرانِ بأن خلقَها خلقةً يمكنُ معها الطَّيرانُ وخلقَ الجوَّ بحيثُ يمكنُ الطَّيرانَ فيه، وإمساكُها في الهواءِ على خلافِ طبعِها"[3] "﴿**لَآيَاتٍ**﴾" أي: علاماتٍ وعبرٍ ودلالاتٍ "﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾"[4] لأنَّهم المنتفعونَ بها "﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا**﴾" أي: موضعاً تسكنونَ فيهِ وقتَ أقامتِكم كالبُيوتِ المتَّخَذةِ من الحجرِ والمدرِ، فعل بمعنى مفعول"[5]. "وكلُّ ما علاكَ فهوَ سقفٌ، وكلُّ ما أقلَّكَ فهو أرضٌ،

---

1 "محمّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما التناري بلدا ، *مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد*، تح: محمّد أمين الصناوي، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1417هـ)، 548/2."

2 سورة النحل: 16 78.

3 " البنتني، *مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد*، 548/2."

4 سورة النحل: 16 / 79.

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 136/3. "

وكلَّما سترتَ من جهاتِك الأربع فهوَ جدارٌ، فإذا انتظمتْ واتَّصلتْ فهو بيتٌ"[1]. [أ/289] "﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا**﴾" هي القِبابُ المتَّخذةُ من الآدمِ، ويجوز أن تتناولَ المتَّخَذةِ من الوبرِ والصُّوفِ والشَّعرِ فإنَّها من حيثُ أنَّها نابتةٌ على جلودِها، يصدقُ عليها أنَّها من جلودِها"﴿**تَسْتَخِفُّونَهَا**﴾" أي تجدونَها خفيفَة يخفُّ عليكم نقلُها وحملُها"﴿**يَوْمَ ظَعْنِكُمْ**﴾" أي: وقتَ ترحالِكم "﴿**وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ**﴾" وقتَ الحَضَرِ أو النُّزولِ والظَّعْنِ سيرَ الباديةِ في الانتجاعِ والتَّحولِ من موضعٍ إلى موضعٍ"﴿**وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا**﴾" الصُّوفُ للضَّانيةِ، والوبرُ للإبلِ، والشَّعرُ للمعزِ، وإضافتها إلى ضميرِ الأنعامِ، لأنَّها من جملتِها "﴿**أَثَاثًا**﴾" وهو ما يُلبَسُ ويُفرشُ"[2]،كالأكسيةِ والبُسطِ، "وقالَ الخليلُ[3]: أثاثاً متاعاً منضمَّاً بعضهُ إلى بعضٍ منْ أثَّ إذا كَثُرَ"[4] "﴿**وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾"[5] إلى مدَّةٍ من الزَّمن فإنَّها لصلابتِها تبقى مدَّةً مديدةً إلى أن تبلى، أو إلى حينِ مماتِكم، أو إلى أن تقضُوا منها أوطَاركم، ولم يذكرِ القطنَ والكتَّانَ؛ لأنَّهُ لم يكن في بلادِ العربِ المخاطَبين[6]"﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ**﴾" من الشَّجرِ والجبالِ الأبنيةَ وغيرَها "﴿**ظِلَالًا**﴾" تتَّقون بهِ حرَّ الشَّمسِ "﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا**﴾" مواضعَ تسكنونَ بها من الكهوفِ، والبيوتِ المنحوتةِ فيها، جمعُ كن وهو الحافظُ من المطرِ والرِّيحِ "﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ**﴾" ثياباً من الصُّوفِ والكِتَّانِ والقُطنِ وغيرِها "﴿**تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾" أي: والبردَ، وذكرَ الجبالَ، ولم يذكرِ الحرَّ ولم يذكر البردَ؛ لأنَّ القومَ كانوا أصحابَ جبالٍ، ولم يكونوا أصحابَ سهلٍ، وكانوا أهلَ حرٍّ

---

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 152/10. "

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 236."

3 "الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد ومات في البصرة، وعاش فقيراً صابراً كان شعث الرأس شاحب اللون، قشف الهيئه متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يعرف . الزركلي، *الأعلام*، 2/ 314."

4 " "القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 154/10."

5 سورة النحل: 16 / 80.

6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 238."

ولم يكونوا أهلَ بردٍ، وقيل: لأنَّ وقايةَ الحرِّ كانتْ أهمَّ عندَهم، وقيلَ: أنَّ البردَ تقدَّم ذِكرهُ [ب/289] والامتنانُ بوقايتهِ صريحاً في قولهِ: **(ومن أصوافها)** الآية، وفي قوله: **(والأنعام خلقها لكم فيها دفْءٌ)**، وقيلَ: اكتفاءٌ بأحدِ الضِّدَّين عن الآخرِ فإنَّه يدلُّ عليهِ"[1]"﴿**وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ**﴾" يعني؛ الدُّروعُ والجواشنُ والسِّربالُ يعمُّ كلَّ ما يُلبس، ولباسُ الحرب "﴿**كَذَلِكَ**﴾" أي كإتمامِ هذهِ النِّعمِ الَّتي تقدَّمتْ"﴿**يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾"[2] أي: تنظرونَ في نِعمهِ فتؤمنونَ به وتنقادونَ لحُكمه "﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾" أي: أعرضوا، ولم يقبلوا منكَ "﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾"[3] أي: فلا يضرُّكَ فإنَّما عليكَ الإبلاغُ وقد بلَّغتَ، وهذا من إقامةِ السَّببِ مقامَ المسبّبِ، وهذا قبلَ الأمرِ بالقتالِ "﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ**﴾" أي: يعرفُ المشركونَ نعمةَ اللهِ الَّتي عدَّدها عليهم وغيرَها، حيثُ يعترفونَ بها وبأنَّها منَ اللهِ "﴿**ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا**﴾" بعبادتهم غيرَ المنعمِ بها، أو قولهم أنَّها بشفاعةِ آلهتنا، أو بسببِ كذا أو بأعراضهم عن أداءِ حقوقِها، وقيلَ: يعرفونها في الشِّدَّةِ، وينكرونها في الرَّخاءِ، وقيلَ: نعمةَ اللهِ نبوَّةُ محمّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلَّم عرفوها بالمعجزاتِ ثم أنكروها عناداً، أو معنى ثمَّ استبعادٌ للإنكارِ بعد المعرفةِ"[4]"﴿**وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾"[5] "الجاحدونَ عناداً، وذكرَ الأكثرَ إمَّا لأنَّ بعضَهم لم يعرفِ الحقَّ لنقصانِ العقلِ، أو لتفريطٍ في النَّظرِ، أو لم تقمْ عليهِ الحُجَّةُ لأنَّه لم يبلغ حدَّ التَّكليفِ، وإمَّا لأنَّهُ يقامُ مقامَ الكُلِّ كما في قوله: **(بل أكثرهم لا يعلمون)**"[6] "﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**﴾" وهو نبيُّها يشهدُ لهم وعليهم بالإيمانِ والكُفر "﴿**ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾" في الاعتذارِ إذ لا عُذرَ لهم، وقيلَ: في الرُّجوعِ [أ/290] إلى الدُّنيا، وثمَّ لزيادةِ ما

---

1 ابن جزي الكلبي ، *التسهيل لعلوم التنزيل*، 1/ 433."

2 سورة النحل: 16 / 81.

3 سورة النحل: 16 / 82.

4 "محمّد محمّد عبد اللطيف بن الخطيب ، *أوضح التفاسير*، (مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط. 6، 1383هـ/1964م)، 1/ 330."

5 سورة النحل: 16 / 83.

6 "ابن الخطيب، *أوضح التفاسير*، 1/ 330."

يحيقُ بهم من شدَّة المنعِ عن الاعتذارِ لما فيه من الإقناطِ الكُلّيّ"[1] "﴿**وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾"[2] يعني؛ ولا هم يرضونَ من العُتبى[3] وهي؛ الرِّضا، ويومَ منصوبٌ بذكر أو خوفهم أو يحيقُ وكذا قولُه:"﴿**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ**﴾" أي: عذابُ جهنَّمَ بالدُّخول فيها "﴿**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ**﴾" العذابَ "﴿**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾"[4] أي: يُمهلون "﴿**وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ**﴾" أي: أوثانَهم الّتي دَعوها شركاءَ، أو الشَّياطينَ الَّذين يشاركونهم في الكُفرِ بالحملِ عليهِ "﴿**قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ**﴾" أي: نعبدُهم، أو نطيعُهم، وهو اعترافٌ بأنَّهم كانوا مخطئين في ذلك، أو التماسٌ لأن يشطرَ عذابهم "﴿**فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾" أي: أجابُوهم بالتَّكذيبِ في أنَّهم شركاءَ اللهِ، أو أنَّهم عبدوهم حقيقةً، وإنَّما عبدوا أهواءَهم لقوله تعالى: "﴿**كلا سيكفرون بعبادتهم**﴾"[5] ولا يمتنعُ إنطاقُ الأصنامِ حينئذٍ أو في أنَّهم[6] حملوهم على الكفرِ، وألزموهم إيَّاهُ لقوله تعالى حكاية: "﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾"[7] "﴿**وَأَلْقَوْا**﴾" أي: وألقَى الَّذين ظلموا "﴿**إلى اللَّهِ يَوْمَئِذِ السَّلَمَ**﴾" أي: الاستسلامَ لحكمهِ بعد الاستكبارِ في الدُّنيا، وقيلَ: استسلمَ العابدُ والمعبودُ"[8]"﴿**وَضَلَّ**

---

1 " أبو العباس أحمد بن محمّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (مصر: القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، ط.1، 1419هـ)، 3/ 156."

2 سورة النحل: 16 / 84.

3 سقط من النسخة (ب) كلمة (العتبى) .

4 سورة النحل: 16 / 85.

5 سورة النحل: 16 / 86.

6 "سقطت من النسخة (ب) عبارة (التي دعوها شركاء أو الشياطين الذين يشاركونهم في الكفر بالحمل عليه (**قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ**) أي نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك أو ألتماسٌ لأن يشطر عذابهم (**فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ**) أي أجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء الله أو أنهم عبدوهم حقيقة وإنما عبد أهواهم لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الأصنام حينئذ أو في أنهم) ."

7 سورة إبراهيم، 14/ 22.

8 " لعبد الله بن عباس رضي الله عنه ، و جمعه مجد الدّين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د. ن)، 1/ 229."

عَنْهُمْ﴾" أي: ذهبَ وضاعَ "**﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾**"[1] من أنَّ آلهتُهم ينصرونهم ويشفعونَ لهم حينَ كذَّبوهم وتبرَّؤا منهم "**﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾**" النَّاس "**﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**" بالمنعِ عن الإسلامِ، والحملِ على الكفر"**﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾**" ليصدَّهم"**﴿فَوْقَ الْعَذَابِ﴾**" المستحَقِّ بكفرهم "**﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾**"[2]"أي: بكونهم مُفسدين [ب/290] بصدِّهم قالَ ابنُ مسعود: "عقاربٌ أنيابُها كالنَّخلِ الطِّوال"[3] وحيَّاتٍ مثلَ أعناقِ الإبلِ، وأفاعي كأنَّها البخاتيّ تضربهم فتلكَ الزِّيادة، وقيلَ: يخرجون من النَّار إلى الزَّمهريرِ فيبادرونَ من شدَّةِ البردِ إلى جهنمَ"[4] "**﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾**" يعني؛ نبيَّهم، فإنَّ نبي كلَّ أمَّةٍ بُعثَ منهم، قيلَ: وفي كلِّ زمانٍ شهيدٌ وإن لم يكن نبيَّاً، وفيهِ قولان: أحدُهما أنَّهم أَئمَّةُ الهُدى الَّذين هم خلفاءُ الأنبياءِ، والثَّاني همُ العلماءُ الَّذين حفظَ اللهُ بهم شرائعَ أنبيائِه"[5]، "القرطبي: فعلى هذا لم تكن فترةٌ إلا وفيها من يوحِّدُ اللهَ كقيسِ بن ساعدة[6] وزيدِ بن عمرُ بن نفيل[7]

---

1 سورة النحل: 16 / 87.

2 سورة النحل: 16 / 88.

3 "محمّد ناصر الدّين الألباني، *صحيح الترغيب والترهيب*، (السعودية: الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط. 1، 1421هـ/ 2000م)، كتاب صفة النار، 3/ 478، (3678)."

4 "أبو السعود العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى ، *تفسير أبي مسعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، (لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ن)، 5/ 135."

5 "الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 14/ 209."

6 "قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبارخطبائهم، في الجاهلية. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه أما بعد . وكان يفد على قيصر الروم، زائرا، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم قبل النّبوّة، ، الزركلي، *الأعلام*، 5 / 196 ."

7 "زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية ، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم ، الزركلي، *الأعلام*، 3 /60 ."

وورقةِ ابن نوفل[1] فهؤلاءِ ومن كانَ مثلهم حجَّةٌ على أهلِ زمانهم، وشهداءُ عليهم"[2]"﴿**وَجِئْنَا بِكَ**﴾"يا محمَّدُ"﴿**شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ**﴾" أي:على أمَّتك"﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾" القرآنُ استئنافٌ أو حالٌ بإضمارِ قد"[3] "﴿**تِبْيَانًا**﴾" أي بياناً بليغاً "﴿**لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾" يحتاجُ إليهِ من أمورِ الدِّينِ على التَّفصيل أو الإجمالِ بالإحالةِ على السُّنَّةِ أو القياسِ، وقالَ مجاهدٌ: للحلالِ والحرامِ"[4] "﴿**وَهُدًى**﴾" منَ الضلالةِ "﴿**وَرَحْمَةً**﴾" للجميعِ، وإنَّما حرمانُ المحرومِ لتفريطهِ "﴿**وَبُشْرَى**﴾" بالجنَّةِ "﴿**لِلْمُسْلِمِينَ**﴾"[5] خاصَّةً "﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**﴾" أي: بالتَّوسُّطِ في الأمورِ اعتقاداً كالتَّوحيدِ المتوسِّطِ بين التَّعطيلِ والتَّشريكِ، والقولِ في الأمورِ بالكسبِ المتوسِّطِ بين محضِ الجبرِ والقدرِ، وعملاً كالتَّعبُّدِ بأداءِ الواجباتِ المتوسِّطِ بين البطالةِ والتَّرهُّبِ، وخُلُقاً المتوسِّطِ بين البخلِ والتَّبذيرِ"[6] "﴿**وَالْإِحْسَانِ**﴾" إحسانُ الطَّاعاتِ، وهو إمَّا بحسبِ الجسميَّة كالتَّطوعِ بالنَّوافلِ[أ/292] أو بحسبِ الكيفيَّةِ، كما قالَ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ: "الإحسانُ أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ فإن لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ"[7] هوَ عن عثمانَ بنِ مظعون[8] قالَ لما نزلت هذه قرأتها على أبي طالبٍ فتعجَّبَ فقالَ: يا آلَ غالبٍ أتَّبعوه تُفلحوا، فواللهِ إنَّ اللهَ أرسلهُ ليأمرَ بمكارمِ الأخلاقِ، وفي حديثٍ آخرَ أنَّ أبا طالبَ لما قيلَ له أنَّ ابنَ أخيكَ زعمَ أنَّ اللهَ أنزلَ عليهِ أنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ

---

1 "ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، من قريش ،حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين ، الزركلي، *الأعلام*، 8 / 114.

2 سقط من النسخة (ب) عبارة (حجة على أهل زمانهم وشهداء عليهم) ."

3 " الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 14/ 210."

4 " الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 14/ 210."

5 سورة النحل: 16 / 89.

6 " الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 14/ 210."

7 "البخاري، *الجامع الصحيح*، 1793/4، برقم 4499."

8 "عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحيّ، ابو السائب: صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين ، الزركلي، *الأعلام*، 4 / 214 ."

والإحسان الآية فقالَ: أتبعوا ابنَ أخي فواللهِ لن يأمرَ إلا بمحاسنِ الأخلاقِ، وقالَ عكرمةُ: قرأَ النَّبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم على الوليدِ بن المغيرةِ"[1] "﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾" إلى آخرها، فقالَ: يا ابن أخي أعد، فأعادَ عليه، فقالَ: واللهِ إنَّ له لحلاوةٌ، وإنَّ عليهِ لطلاوةٌ، وإنَّ أصلهُ لمورقٌ، وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ، ما هوَ بقولِ بشرٍ. وقالَ مقاتل: ابن مسعودَ[2]: "هذهِ أجمعُ آيةٍ في القرآنِ لخيرٍ يُسألُ أو نهيٍ يُتجنَّبُ، وقالَ مقاتل"[3]: زكاةُ العدلِ الإحسانُ، وزكاةُ القدرةِ العفوَ، وزكاةُ الغِنى المعروفُ، وزكاةُ الجاهِ كبتُ الرَّجلِ إلى اخوانه، قالَ ابنُ عبَّاس: العدلُ لا إلهَ إلا اللهُ، والإحسانُ أداءُ الفرائضِ"[4]. وقيلَ: العدلُ الفرضُ، والإحسانُ النَّافلةُ، وقالَ سفيانُ بن عيينة[5]على العدلِ: هاهنا استواءُ السَّريرةِ والعلانيَّةِ، والإحسانُ أن تكونَ السَّريرةُ أفضلَ، "وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه: العدلُ الإنصافُ والإحسانُ التَّفضُّل"[6]، وقالَ ابنُ العربيّ:"العدلُ بينَ العبدِ وبينَ ربّه إيثارُ حقِّه تعالى عن حظِّ نفسهِ، وتقديمُ رضاه على هواه، والاجتنابُ للزَّواجرِ، والامتثالُ للأوامرِ، وأمَّا العدلُ بينه [ب/292] وبينَ نفسهِ فمنعُها ممَّا فيهِ هلاكُها، وعزوفُ الأطماعِ عن الاتِّباعِ، ولزومُ القناعةِ في كلِّ حالٍ، وأما العدلُ بينهُ وبينَ الخلقِ فبذلُ النَّصيحةِ، وتركُ الخيانةِ فيما قلَّ وكثرَ، والإنصافُ من نفسكَ لهم بكلِّ وجهٍ، ولا يكونُ منكَ إساءةٌ إلى أحدٍ بقولٍ ولا فعلٍ لا في سرٍّ ولا علنٍ، والصَّبرُ على ما يصيبكَ منهم من البلوى، وأقلُّ ذلكَ تركُ الأذى، وأمّا الإحسانُ، فقالَ

---

1 "الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له العدل لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو البيت جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته ، الزركلي، *الأعلام*، 8 / 122 ."

2 سقط من النسخه (ب) كلمة (مقاتل) .

3 "في *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، 165/10: النقاش. "

4 " فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي ، *توفيق الرحمن في دروس القرآن*، تح: عبد العزيز بن عبدالله بن إبراهيم الزير آل محمّد، (السعودية: الرياض، دار العاصمة، ط.1، 1416هـ/ 1996م)، 2/ 589."

5 "سفيان بن عوف الأَزدي الغامدي: قائد، صحابي، من الشجعان الأبطال. كان مع أبي عُبَيْدَة ابن الجَرَّاح بالشام حين افتتحت، وولاه معاوية الصائفتين، فظفر واشتهر. ثم سيره بجيش إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية، فتوفي في مكان يسمى (الرنداق) ، الزركلي، *الأعلام*، 3 / 105 ."

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 165."

العلماءُ: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يحبُّ من خلقهِ إحسانُ بعضهم إلى بعضٍ، حتى الطَّائرُ في سجنكَ، والسِّنَّورُ في دارِكَ، فلا ينبغي أن تقصِّر في تعهُّدهِ بإحسانكَ، وهو تعالى غنيٌّ عن إحسانِهم، ومنهُ الإحسانُ والنِّعمُ والفضلُ والمننُ، وفي حديثِ جبريلَ السَّابقِ: والإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ إلى آخره، وأربابُ القلوبِ في هذهِ المراقبةِ على حالينِ: أحدُهما غالبٌ عليه مشاهدةُ الحقِّ فكأنَّه يراهُ، ولعلَّ النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم أشارَ إلى هذهِ الحالةِ بقولهِ: "وجُعلت قُرَّةُ عيني في الصَّلاةِ"[1]، وثانيها: لا ينتهي إلى هذا، لكن يغلبُ عليهِ أنَّ الحقَّ مطَّلعٌ عليه، ومشاهدٌ له، وإليه الإشارةُ بقوله: (الذي يراك حين تقوم)"[2] "﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾" وإعطاءُ الأقاربِ ما يحتاجونَ إليه من تخصيصٍ بعدَ تعميمٍ، وهو من بابِ عطفِ المندوبِ على الواجبِ، وإنَّما خصَّهم لأنَّ حقوقَهم أوكدُ، وصلتُهم أوجبُ تأكيدٍ لحقِّ الرَّحمِ"[3] "﴿**وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ**﴾" أي: عن الإفراطِ في متابعةِ القُوَّةِ الشَّهوانيَّةِ كالزِّنا فإنَّهُ أقبحُ أحوالِ الإنسانِ وأشنعها، والفحشُ كلُّ قبيحٍ من قولٍ أو فعلٍ"[4] "﴿**وَالْمُنْكَرِ**﴾" وهوَ ما ينكرُ على متعاطيهِ في إثارةِ [أ/292] القوةِ الغَضَبيَّة، وهو ما أنكرهُ الشَّرعُ بالنَّهي عنهِ، ويعمُّ جميعَ المعاصي والرَّذائلِ والدَّناءات على اختلافِ أنواعِها، وقيلَ: هو الشِّركُ"[5] "﴿**وَالْبَغْيِ**﴾" أي: الاستعلاءُ والاستيلاءُ على النَّاس، والتَّجبُّر عليهم، فإنها الشيطنةُ التي هي مقتَضى القوَّةِ الوهميَّةِ، وحقيقةُ البغيِ تجاوزُ الحدِّ وهوَ داخلٌ تحتَ المنكرِ، لكن يقالُ: خصَّهُ بالذِّكرِ اهتماماً به لشدَّةِ ضررهِ وفي الحديث: "لا ذنبَ أسرعَ عقوبةً من بغيٍ[6] وفي حديثٍ آخر "الباغي مصروعٌ"[7] وقالَ

1 "أحمد بن شعيب النسائي، *المجتبى*، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1986)، 61/7 رقم 3940. قال الشيخ الألباني: صحيح."

2 "القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 166/10وما بعدها.؛ الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 14/ 211".

3 " الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، 14/ 211."

4 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 167/10."

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 167/10."

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 167/10."

7 " المحرر الوجيز، ابن عطية، 3/ 114."

بعضُ أهلِ العلمِ: لا شيءَ كالبغيِ أكثرُ عملهِ في متحمّله، الباغي باحثٌ عن مديةِ حتفهِ بظِلفهِ، وقلَّ ما اجتمعَ المِلْكُ والبغيُ على سريرٍ إلا خلا، ولا يوجدُ من الإنسانِ شرٌّ إلا وهوَ مندرجٌ في هذهِ الأقسامِ، صادرٌ بتوسُّطِ إحدى هذه القوى الثَّلاثِ، ولو لم يكنْ في القرآنِ غيرَ هذهِ الآيةِ لصدقَ عليه أنَّهُ تبيانٌ لكلِّ شيءٍ وهدى ورحمةٌ للعالمينَ، ولعلَّ إيرادها عقيبَ قولهِ، ونزَّلنا عليكَ الكتابَ التَّنبيهُ عليهِ"[1]"﴿**يَعِظُكُمْ**﴾" بالأمرِ والنَّهيِ التَّمييزُ بينَ الخيرِ والشَّرِّ "﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾"[2] أي تتَّعظون "﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ**﴾" يعني؛ البيعةُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على الإسلامِ لقولهِ: "﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾" وقيلَ: كلُّ أمرٍ يجبُ الوفاءُ به، وقيلَ: النُّذُر، وقيلَ: الأيمانُ باللهِ، والعهدُ لفظٌ عامٌّ لجميعِ ما يُعقدُ باللِّسانِ، ويلتزمهُ الإنسانُ من بيعٍ أو صلةٍ أو مواثقةٍ في أمرٍ موافقٍ للدِّيانةِ"[3] "﴿**وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ**﴾" أي أيمانَ البيعةِ أو مطلقَ الأيمانِ "﴿**بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾" أي: توثيقِها بذكرِ اللهِ "﴿**وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا**﴾" [ب/292] "شاهداً بتلكَ البيعةِ حيثُ حلفتم به فإنَّ الكفيلَ مراعٍ لحالِ المكفولِ به رقيبٌ عليه، وهو تهديدٌ"[4] "﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾"[5] "في نقصِ الأيمانِ والعهودِ، والجملةُ حالٌ"[6]"﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا**﴾" أي ما غزلته مصدرٌ بمعنى المفعولِ"[7]"﴿**مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ**﴾" متعلّقٌ بنقضتْ أي: نقضتْ غزلَها من بعدِ إبرامٍ وإحكامٍ "﴿**أَنْكَاثًا**﴾" طاقاتٍ أي نكثتْ فتلها، جمعُ نكثَ هو الاسمُ النِكث، والنَّقضُ، وانتصابُ أنكاثاً على الحالِ من غزلها، أو المفعول الثَّاني لنقضتْ

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 168/10."
2 سورة النحل: 16 / 90.
3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 238."
4 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 168/10."
5 سورة النحل: 16 / 91.
6 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 239."
7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 239."

فإنَّه بمعنى صيَّر،ت والمرادُ به تشبيهُ النَّاقضِ من هذا شأنه، ويُروى أنَّ امرأةً حمقى كانت بمكَّةَ تُسمى رَيْطَةُ بنتُ عمرو بنَ كعبٍ بنَ سعدٍ بنَ تميمٍ بنَ مُرَّةٍ[1] من قريشٍ كانتْ تفعلُ ذلكَ، فكانتْ تغزلُ طولَ يومِها ثم تنقضهُ، فيها وقعَ التَّشبيهُ"[2]"﴿**تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ**﴾" حالٌ من الضَّميرِ في (ولا تكونوا) أو في الجارِ الواقعِ موقعَ الخبرِ أي: ولا تكونُوا مشبَّهين بامرأةٍ هذا شأنُها مُتَّخذي أيمانكمْ مفسدةً، ودَخَلاً بينكم، وأصلُ الدَّخَلِ ما يدخلُ الشَّيءِ ولم يكنْ منهُ، وقيلَ: الدَّخَلُ الخديعةُ والغِشُّ، وقالَ أبو عبيدةَ[3]: كلُّ أمرٍ لم يكنْ صحيحاً فهوَ دَخَلٌ"[4] "﴿**أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ**﴾" أي: بأن تكونَ جماعةٌ أزيدَ عدداً، وأوفرَ مالاً من جماعةٍ، والمعنى؛ لا تغدروا بقومٍ لكثرتهمْ، وقلَّتهم أو لكثرةِ منابذتهمْ وقوَّتهم كقريشٍ فإنَّهم كانوا إذا رَأوا شوكةً في أعادي حلفائِهم نقضُوا عهدَهم، وخالفوا أعداءَهم"[5] "﴿**إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ**﴾" الضَّميرُ لأن تكونَ أمةٌ، لأنَّه بمعنى المصدرِ أي: يختبركم بكونِهم أَربى لينظُروا [أ/293] أتتمسكونَ بحبلِ الوفاءِ بعهدِ اللهِ وبيعةِ رسولهِ؟ أم تغترُّون بكثرةِ قريشٍ وشوكتِهم، وقلةِ المؤمنينَ وضعفِهم، وقيلَ: الضَّميرُ للرِّبا، وقيلَ: للأمرِ بالوفاء، ويقالُ أنَّ اللهَ تعالى يبتلي عبادَه بالتَّحاسدِ، وطلبِ بعضهم الظُّهورَ على بعضٍ واختبرهم بذلك ليَرى من يجاهدُ نفسَه فيخالفَها، ممَّن يتَّبعها ويعملُ بمقتضَى هواها"[6] "﴿**وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾"[7] إذا جَازاكم على أعمالِكم بالثَّوابِ والعقابِ "﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ**

---

1 "ريطة بنت سعد بن تيم وقيل ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة، وكانت خرقاء، وقد اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن، وكانت هذه المرأة من أهل مكة. البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، 3/ 93."

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 239."

3 "عامر بن عبد الله بن الجراح ابن هلال الفهري القرشي الأمير القائد فاتح الديار الشامية والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال ابن عساكر داهية قريش، وكان لقبه أمين الأمة ولد بمكة وهو من السابقين إلى الإسلام. الزركلي، *الأعلام*، 3/ 252."

4 " القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 7، 307."

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 239."

6 "الأندلسي، *تفسير ابن عطية*، 418/3."

7 سورة النحل: 16 / 92.

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾" متفقةً على الإسلامِ، أو على مِلَّةٍ واحدةٍ "**﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾**" بالخُذلانِ عدلاً منهُ فيهم "**﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾**" بالتَّوفيقِ فضلاً منه عليهم لا يُسألُ عمَّا يفعلُ "**﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**"[1] سؤالَ تبكيتٍ مجازاة "**﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾**" تصريحٌ بالنَّهيِ عنهُ بعدَ التَّضمينِ تأكيداً، أو مبالغةً في قبحِ المنهيِّ لعظمِ موقعهِ في الدِّينِ "**﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾**" عن محجَّةِ الإسلامِ "**﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾**" عليها، والمرادُ أقدامهم، وإنَّما وَحَد ونكَّرَ للدّلالةِ على أنَّ زللَ قدمٍ واحدةٍ عظيمٌ، فكيفَ بأقدامٍ كثيرةٍ؟ وهذهِ استعارةٌ للمستقيمِ الحالِ يقعُ في شرٍّ عظيمٍ ويسقطُ فيه؛ لأنَّ القدمَ إذا زلَّت يغلبُ الإنسانَ، ثمَّ توعَّدَ تعالى بعدُ بعذابٍ في الدُنيا وعذابٍ عظيمٍ في الآخرةِ بقوله"[2]: "**﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾**" هوَ العذابُ في الدُنيا "**﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**" أي: بصدودُكم عن الوفاءِ أو صدِّكم غيرَكم عنهُ، فإنَّ من نقضَ البيعَ وارتدَّ جعلَ ذلكَ سُنَّةً لغيرهِ "**﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**"[3] "في الآخرةِ، وهذا الوعيدُ فيمن نقضَ عهدَ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم فإنَّ من عاهدَه ثمَّ [ب/293] نقضَ عهدَه خرجَ من الإيمانِ، وذوقُ السُّوءِ في الدُنيا هو ما يحلُّ بهم من المكروهِ"[4]"**﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾**" أي: ولا تستبدلُوا عهدَ اللهِ وبيعةَ رسولهِ"**﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾**" أي: عَرَضاً يسيراً وهو ما كانت قريشٌ يَعِدون به ضعافَ المسلمينَ و يشترطونَ لهم على الارتدادِ، وفيهِ النهيُ عن الرَّشا وأخذِ الأموالِ على نقضِ العهدِ، وإنْ كانَ قليلاً وإنْ كَثر؛ لأنَّه ما يزولُ كما نبَّهَ عليهِ بقولهِ: ما عندكم ينفدْ"[5]"**﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾**" من النَّصرِ والنَّعيمِ في الدُنيا والثَّوابَ في الآخرةِ "**﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾**" ممَّا يَعِدونكم"**﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**"[6] أي: إن كُنتم من أهلِ العلمِ

---

1 سورة النحل: 16 / 93.

2 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 238."

3 سورة النحل: 16 / 94.

4 "الأندلسي، *تفسير ابن عطية*، 419/3."

5 "الأندلسي، *تفسير ابن عطية*، 419/3."

6 سورة النحل: 16 / 95.

والتَّمييز"﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾" من أعراضِ الدُّنيا "﴿يَنْفَدُ﴾" ينقضي ويَفنى "﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾" من مواهبِ فضلِه ونعيمِ جنَّتِه "﴿بَاقٍ﴾" لا ينفدُ ثابتٌ لا يزولُ "﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ﴾" على الفاقةِ وأذى الكفَّارِ، أو على مشاقِّ التَّكليفِ، وقُرئ بالنُّونِ"[1] "﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾"[2] أي: بالجزاءِ أحسنَ من أعمالهم "﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾" بيَّنه بالنَّوعينِ دفعاً للتَّخصيصِ "﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾" إذ لا اعتدادَ بأعمالِ الكفرةِ في استحقاقِ الثَّوابِ، وإنَّما المتوَقَّع عليها تخفيفُ العذابِ "﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾" في الدُّنيا يعيشُ عيشاً طيِّباً، فإنَّه إن كانَ موسراً فظاهرٌ، وإن كانَ معسراً يطيبُ عيشُهُ بالقناعةِ، والرِّضا بالقِسمةِ، وتوقُّع الأجرِ العظيمِ في الآخرةِ، بخلافِ الكافرِ فإنَّه إن كانَ معسراً فظاهرٌ، وإن كانَ موسراً لم يدعهُ حرصُهُ وخوفُ الفواتِ أن يتهنَّى بعيشهِ، وقيلَ: الحياةُ الطيِّبةُ الرِّزقُ الحلالُ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: الحسنُ هي القناعةُ[3] وفي الحديثِ: "القناعةُ كنزٌ لا يَفنى"[4] [394/أ] وفي حديثِ أبي هريرةَ: "كُنْ وَرِعاً تكنْ أعبدَ النَّاسِ، وكُنْ قَنِعاً تكنْ أشكرَ النَّاسِ"[5]. ومن كلامِ الحكمةِ من كانت قناعتُه سمينةٌ طابتْ له كلُّ مَرَقَة[6]. وقيلَ: هي التَّوفيقُ إلى الطَّاعاتِ فإنَّها تودِّيهِ إلى رضوانِ اللهِ، وقيلَ: الحياةُ الطيِّبةُ في الأخرةِ، قالَ الحسن: "لا تطيبُ الحياةُ لأحدٍ إلا في الجنَّةِ"، وقالَ أبو بكر الورَّاقُ: "هي حلاوةُ الطَّاعةِ"، وقالَ سهلٌ بن عبد الله[7]: "هو أن يَنزِعَ عن العبدِ تدبيرَه، ويَردَّ تدبيرَه[8] إلى تدبيرِ

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 239."

2 سورة النحل: 16 / 96.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 239."

4 " أحمد بن الحسين البيهقي، *الزهد الكبير*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1996)،88، قال البيهقي: إسناده ضعيف."

5 "*محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، 2/ 1410، رقم 4217*. قال البوصيري، أحمد بن أبي بكر البوصيري، *مصباح الزجاجة*، (بيروت: دار العربية، 1403هـ)، 240/4: إسناده حسن."

6 سقط من النسخة (ب) كلمة (مرقة) وورد مكانها بالنسخة (ب) كلمة (مسرة) .

7 "سهل بن عبدالله بن يونس التستري، أبو محمّد أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال، له كتاب في (تفسير القرآن–ط) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك . الزركلي، *الأعلام*، 3/ 143."

8 سقط في النسخة (ب) جملة (ويرد تدبيرة) .

الحقِّ"[1]، "وقيلَ: هي الاستغناءُ عن الخلقِ، والافتقارُ إلى الحقِّ[2]، وقالَ جعفرُ الصَّادقُ: "هي المعرفةُ باللهِ، وصدقُ المقامِ بين يديهِ، وقيلَ غيرُ ذلكَ"[3]"﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾"[4] "من الطَّاعة، وقالَ فلنُحيينَّه ثمَّ قالَ ولنجزينَّهم لأنَّ مَن يصلحُ للواحدِ والجمعِ تُذكرُ مرَّةً على اللَّفظ وعادةً مرَّةً على المعنى"[5] "﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**﴾" أي: فإذا أردتَ قرأتَه، كقولهِ إذا قمتمْ إلى الصَّلاة، وفي الحديثِ: "إذا أكلتَ فقُل بسمِ اللهِ"[6]، وقولهم إذا قلتَ فاصدقْ "﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾"[7] "أي فاسألِ اللهَ أن يعيذكَ من وسواسِه ليلاً، يوسوسكَ في القراءةِ، والجمهورُ على أنَّ الأمرَ للنَّدبِ، وفيهِ دليلٌ على أنَّ المصلّي يستعيذُ في كلِّ ركَعةٍ؛ لأنَّ الحُكم المترتّبَ على شرطٍ يتكَّرر بتكررِه، وتعقيبهُ لذكرِ العملِ الصَّالحِ والوعدُ عليه إيذانٌ بأنَّ الاستعاذةَ عندَ القراءةِ من هذا القبيلِ، وعن ابنِ مسعودٍ: "قرأتُ على رسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم فقلتُ: أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ فقالَ: قُلْ أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ [ب/294] الرَّجيمِ هكذا أقرأنيهُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ من اللَّوحِ المحفوظِ"[8] وتقدَّم معنى الاستعاذة "﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ**﴾" أي: تسلُّطٌ وولايةٌ "﴿**عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾"[9] "أي: على أولياءِ اللهِ المؤمنينَ به المتوكّلينَ عليه فإنَّهم لا يطيعونَ أوامرَه، ولا يقبلونَ وسواسَه إلا في ما

---

1 " عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيوطي ، *الدر المنثور*، (لبنان: بيروت، دار الفكر، د.ط، د. ن)، 5/ 164."

2 سقط من النسخة (ب) عبارة (وقيل هي الأستغناء عن الحق والأفتقار الى الحق) .

3 " السيوطي، *الدر المنثور*، 5/ 165."

4 سورة النحل: 16 / 97.

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 240."

6 "سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، *المعجم الكبير*، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مصر: القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط. 2، 1415هـ/ 1994م)، باب العين، 9/ 28، (8304)."

7 سورة النحل: 16 / 98.

8 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 16/ 123. قال ابن الطيب:أشار السخاوي إلى جميع طرقه، وانتقد قول ابن الجزري: إنه جيد الإسناد من طريق المطوّعي بأنه ليّنه أبو نعيم وضعفه ابن مردويه، ولكن صرحوا بأن طرقه وإن كانت ضعيفة يقوي بعضها بعضاً. محمد ياسين الفاداني المكي، *العجالة في الأحاديث المسلسلة*، (دار البصائر، 1985)، 27. "

9 سورة النحل: 16 / 99.

يحتقرونَ على ندورٍ وغفلةٍ، ولذلكَ أمرَ بالاستعاذةِ فذكرُ السَّلطنةَ بعدَ الأمرِ بالاستعاذةِ ليلاً يُتوهَّمُ منهُ أنَّ له سلطاناً، وقالَ سفيانُ[1]: المعنى ليسَ لهُ قدرةٌ على أن يحملهم على ذنبٍ لا يُغفرُ، وقالَ مجاهدُ: لا حُجَّة له على ما يدعوهم إليهِ من المعاصي"[2]"﴿**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ**﴾" أي يحبُّونهُ ويطيعونهُ "﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ**﴾" أي: باللهِ أو بسببِ الشَّيطانِ "﴿**مُشْرِكُونَ**﴾"[3] "وقيلَ: المعنى من أجلهِ يشركون"[4] "﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ**﴾" بالنَّسخِ فجعلنا الآيةَ الناسخةَ مكانَ المنسوخةِ لفظاً أو حكماً، والنَّسخُ رفعُ الشَّيءِ من وضعِ غيرِه مكانَه، وقالَ ابنُ بحر[5]: المعنى إذا بدلنا شريعةً متقدِّمةً بشريعةٍ متتابعةٍ، وقالَ الجمهورُ: إذا نَسخنا آيةً بآيةٍ أشدُّ منها عليهم"[6]"﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**﴾" من المصالحِ فلعلَّ ما يكونُ مصلحةً في وقتٍ يصيرُ مفسدةً بعدَه فيننسخهُ، والجملةُ فاصلةٌ بين إذا وجوابها اعتراضاً لتوبيخِ الكُفَّارِ على قولهم، وللتَّنبيهِ على فسادِ مستندهم، ويجوزُ أن تكونَ حالاً"[7] "﴿**قَالُوا**﴾" وجوابُ إذا أي: قالَ الكفرةُ: "﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ**﴾" أي: مُتقوِّل على اللهِ، تأمرُ بشيءٍ ثم يبدو لكَ فتنهى عنهُ "﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾"[8] حِكمةَ الأحكامِ[9] وفائدةَ النَّسخِ، و لا يميزونَ الخطأ منَ الصَّوابِ "﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ**

---

1 "سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد ونشأ في الكوفة عام (97هـ – 716م) من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبدالله أمير المؤمنين في الحديث كان سيد أهل زمانه في علوم الدّين والتقوى . الزركلي، *الأعلام*، 3/ 104."

2 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 16/ 124."

3 سورة النحل: 16 / 100.

4 " المالكي، *تفسير القرآن العزيز لابن أبي الزمنين*، 2/ 418."

5 " أبو مسلم، محمد بن بحر الأصفهانى ، صنَّف تفسيراً اسمه "جامع التأويل لمحكم التنزيل" يقع فى أربعة عشر مجلداً، وقيل: فى عشرين مجلداً .محمد حسين الذهبي , *التفسير والمفسرون* ,1 /276"

6 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 16/ 124."

7 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 16/ 125."

8 سورة النحل: 16 / 101.

9 وردت في النسخة (ب) كلمة (حكمة) .

الْقُدُسِ﴾" يعني جبريلَ، نزلَ بالقرآنِ كلِّه [أ/295] ناسخهُ ومنسوخهُ، ورُويَ عن الشَّعبيّ[1] بإسنادٍ صحيحٍ قالَ: "وُكِّل إسرافيلُ بمحمَّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلَّم ثلاثَ سنين فكانَ يأتيهِ بالكلمةِ والكلمةِ، ثم نزلَ عليهِ جبريلُ بالقرآنِ"[2] وفي صحيحِ مسلمٍ أيضاً "أنَّه نزلَ عليه بسورةِ الحمدِ ملَكٌ لم ينزلْ إلى الأرضِ قبلَها، ولكن تقدَّمهُ جبريلُ إلى النَّبيّ عليه السَّلام مُعلماً به"[3]، "[4]يقالُ إذاً لم ينزلْ بها جبريلُ كما قالَ بعضُهم"[5] "﴿**مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾**" متلبسا بالحكمة "﴿**لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**" على الإيمانِ بأنَّهُ من كلامهِ إذا سمعوا النَّاسخَ وتدبَّروا ما فيه من رعايةِ الصَّلاحِ والحكمةِ رسختْ عقائدُهم اطمأنَّتْ قلوبُهم"[6] "﴿**وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**"[7] "أي: المنقادينَ لحكمهِ، وهما معطوفانِ على محلِّ ليثبتَ أي: تثبيتاً وهدايةً وبشارةً، وفيهِ تعريضٌ بحصولِ أضدادِ ذلكَ لغيرِهم"[8] "﴿**وَلَقَدْ﴾**" للتَّحقيقِ "﴿**نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾**" القرآنَ "﴿**بَشَرٌ﴾**" يعنون جَبراً الرُّومي غلامُ عامر بن الحضرميّ[9]، وقالَ ابنُ إسحاق[10] :"كانَ النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم –فيما بلغني– كثيراً ما يجلسُ عند المروةِ إلى غلامٍ نصرانيٍّ يُقال له جبرُ عبدُ بني الحضرميّ، وكانَ يقرأُ الكتبَ، فقالَ المشركونَ: واللهِ ما يعلِّمُ محمّداً ما يأتي به إلا جبرُ النَّصراني. "وقيلَ: جبراً ويساراً

---

1 "عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم ، الزركلي، *الأعلام*، 3 / 251 ."

2 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 177."

3 "*مسلم،المسند الصحيح، 1/544 رقم 806."*

4 "زاد في *مبهمات القرآن*، محمد بن علي البلنسي ، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2013)، 304: فلا ."

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 178."

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 178."

7 سورة النحل: 16 / 102.

8 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 179."

9 "جبراً ويساراً كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل، وكان الرسول صلَّى الله عليهِ وسلَّم يمر عليهما ويسمع ما يقرءانه. "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 240."

10 "محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة. له (السيرة النبويّة – ط) هذبها ابن هشام، و(كتاب الخلفاء) و(كتاب المبدأ). وكان قدرياً، ومن حفاظ الحديث. زار الإسكندرية سنة 119 هـ. وسكن بغداد فمات فيها ، الزركلي، *الأعلام*، 6 / 28 ."

كانا يصنعانِ السُّيوف بمكَّةَ، ويقرآنِ التَّوراةَ والإنجيلَ، وكانَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم يمرُّ عليهما ويسمعُ ما يقرآنهِ"[1]. "وقيلَ: عَنَوا سلمانَ الفارسيَّ[2]، قالهُ الضَّحاكُ. القرطبيُّ: وفيه بُعد؛ لأنَّ سلمانَ إنَّما أَتى النَّبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم بالمدينةِ والآيةُ مكيَّةٌ"[3]. "إلى اسمه أبو ميسرة"[4]. وقيلَ: غيرُ ذلكَ فاللهُ أعلمُ"[5]"﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾" هيَ لغةُ الرَّجلِ الذي يميلونَ قولَهم عن الاستقامةِ [ب/295] إليهِ، مأخوذٌ من لحدِ القبرِ، لسانٌ أعجميٌّ غيرُ بَيِّنٍ "﴿وَهَذَا﴾" أي: وهذا القرآنُ "﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾"[6] "أي: ذو بيانٍ وفصاحةٍ، والجملتانِ مستأنفتانِ لإبطالِ طعنهم، وتقريرُه يحتملُ وجهين: أحدهما: أنَّه ما يسمعهُ منه كلامٌ أعجميٌّ لا يفهمهُ هوَ ولا أنتم، والقرآنُ عربيٌّ تفهمونهُ بأَدنى تأمُّلٍ، فكيفَ يكونُ ما تلقَّفهُ منه؟ والثَّاني: هيَ أنَّه تعلَّمَ منه المعنى باستماعِ كلامهِ لكن لم يتلقَّفْ منه اللفظَ؛ لأنَّ ذلكَ أعجميٌّ وهذا عربيٌّ، والقرآنُ كما هوَ معجزٌ باعتبارِ المعنى فهو معجزٌ من حيثُ اللَّفظِ، مع أنَّ العلومَ الكثيرةَ الَّتي في القرآنِ لا يمكنُ تعلُّمِها إلا بملازمةِ مُعلِّمٍ فائقٍ في تلكَ العلومِ مدَّةً مُتطاولةً، فكيفَ يعلمُ ذلكَ جميعَه من غلامٍ سوقيٍّ سمعَ منهُ بعضَ أوقاتِ مرورِه عليهِ كلماتٍ أعجميَّةٍ تعلَّمها لم يعرف معانيَها"[7]، "والعُجمةُ: الإخفاءُ وضدُّ البيانِ، والعربُ تسمِّي كلَّ من لم يعرفْ لغتَهم ولا يتكلَّم بكلامهم

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 240."

2 "صحابي مقدميهم. كان يسمي نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً، واختلفوا فيما كان يسمى به في بلاده. وقالوا: نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بني كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة فجاء به إلى المدينة ، الزركلي، *الأعلام*، 3 / 111 _ 112 ".

3 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 178/10".

4 "هنا عبارة سقطت من المخطوط، ففي تفسير "القرطبي : قيل رجل نصراني اسمه أبو ميسرة. انظر: تفسير "القرطبي، 178/10."

5 " دروزة محمّد عزت، *التفسير الحديث*، (مصر: القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط.1، 1383هـ)، 5/ 183."

6 سورة النحل: 16 / 103 .

7 " "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 241/3".

أعجميًّا. وقالَ الفرَّاءُ: الأعجمُ الَّذي في لسانهِ عُجمةٌ وإن كانَ من العربِ"[1]، "وطَعنهم في القرآنِ بأمثالِ هذهِ الكلماتِ الرَّكيكةِ دليلٌ على غايةِ عجزِهم"[2] "﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾" أي: لا يصدِّقون أنَّها من عندِ اللهِ "﴿**لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ**﴾" إلى الحقِّ أو إلى سبيلِ النَّجاةِ، وقيلَ: إلى الجنَّةِ"[3]. "﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾"[4] في الآخرةِ جزاءٍ لهم على كفرِهم بالقرآنِ، ثم قلبَ الأمرَ عليهم فقالَ: "﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾" القرآنُ، لأنَّهم لا يخافونَ عقاباً يردعهم عنهُ "﴿**وَأُولَئِكَ**﴾" إشارةً إلى الَّذينَ كفروا أو إلى قريشٍ "﴿**هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾"[5] "أي: الكاذبونَ على الحقيقةِ أو الكاملونَ في الكذبِ [أ/296]لأنَّ تكذيبَ الآياتِ والظَّنِّ فيها بهذهِ الخُرافاتِ أعظمُ الكذبِ، والَّذين عادتُهم الكذبَ لا يصرفُهم عنه دينٌ ولا مروءةٌ، أو الكاذبونَ في قولهم إنَّما أنتَ مُفترٍ إنَّما يعلِّمهُ بشرٌ، وقيلَ: المعنى أنَّ كلَّ كذبٍ قليلٌ بالنِّسبةِ إلى كذبِهم"[6] "﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ**﴾" بدلٌ من الَّذين لا يؤمنونَ وما بينهما اعتراضٌ، أو من أُولئكَ، أو من (الكاذبونَ)، أو مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ دلَّ عليه قولُه فعليهم غضبٌ أو دمٌ مرفوعٌ، أو منصوبٌ، أو شرطٌ محذوفُ الجوابِ، أي: لهم وعيدٌ شديدٌ"[7] "﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ**﴾" على الافتراءِ، أو كلمةِ الكفرِ استثناءٌ متَّصل؛ لأنَّ الكفرَ لغةً يعمُّ القولَ والعقدَ كالإيمانِ"[8] "﴿**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾" لم تتغيَّر عقيدتهُ، وفيهِ دليلٌ على أنَّ الإيمانَ هو التَّصديقُ بالقلبِ "﴿**وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا**﴾" له أي: فتحهُ ووسَّعه بمعنى اعتقدهُ وطابَ به نفسهُ "﴿**فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ**

---

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 180."

2 " "البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 241/3".

3 "ينظر: القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، 1/ 321."

4 سورة النحل: 16 / 104.

5 سورة النحل: 16 / 105.

6 "الزحيلي، *التفسير المنير*، 14/ 238."

7 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 180."

8 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 180."

عَظِيمٌ﴾"[1] "أي: عذابُ جهنمَ إذ لا أعظمَ من جُرمهم، ونزلتْ الآيةُ في عمَّارَ بن ياسرَ لأنَّهُ قاربَ بعضَ ما ندبهُ الكفَّارُ إليهِ، رُويَ أنَّ قريشاً أكرهوا عمارَ وأبويهِ ياسرَ وسُمَيَّةَ على الارتدادِ، فرابطوا سُمَيَّةَ بينَ بعيرينِ، ووجَى بحربةٍ في قُبُلها، وقالوا: إنكَ أسلمتِ من أجلِ الرِّجالِ فقُتِلت، وقَتلوا ياسراً وهما أوَّلُ قتيلين في الإسلامِ، وأمَّا عمارُ فأعطاهم بلسانهِ ما أرادوا مُكرَهاً، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ إنَّ عماراً كَفَرَ، قالّ: كلَّا إنَّ عمَّاراً مُلئَ إيماناً من قَرنهِ إلى قدمِهِ، واختلطَ الإيمانُ بلحمهِ ودَمهِ"[2]، "فأَتى عمَّارُ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم وهوَ يبكي فجعلَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم يمسح عينيهِ، وقالَ: مالكَ إن عَادوا لكَ فعُد لهم بما قلتَ"[3] [ب/296]، "وفي روايةٍ: فقالَ له رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم: "كيف تجدُ قلبَكَ؟ قالَ: مطمئنٌ بالإيمانِ، فقالَ صلَّى الله عليهِ وسلَّم :فإن عَادوا فعُد"[4]، وهو دليلٌ على جوازِ التَّكلُّمِ بالكفرِ عندَ الإكراهِ، وإن كانَ الأفضلُ أن يتجنَّبَ عنهُ إعزازاً للدِّينِ كما فعلَ أبواه، ولما رُويَ أنَّ مُسيلمةَ أخذَ رجلين فقالَ لأحدهما: ما تقولُ في محمَّد؟ قالَ: رسولُ اللهِ فقال: ما تقولُ فيَّ؟ فقالَ: أنتَ أيضاً، فخلَّاه، وقالَ للآخر: ما تقولُ في محمَّد؟ قال: رسولُ الله، قال: فما تقولُ فيَّ؟ قال أنا أصمُّ فأعادَ عليهِ ثلاثاً فأعادَ جوابَه فقتلهُ، فبلغَ رسولَ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم فقالَ: أمَّا الأوَّلُ فقد أخذَ برُخصةِ اللهِ وأمَّا الثَّاني فقد صَدَعَ بالحقِّ فهنياً له"[5]، "وأجمعَ أهلُ العلمِ على أن من أُكرهَ على الكُفرِ حتَّى خشِيَ على نفسِه القتلَ فلا إثمَ عليهِ إذا تلفَّظَ بالكفرِ وقلبُه مطمئنٌ بالإيمانِ، ولا تبينُ منه زوجتُه، ولا يُحكمُ عليهِ بحكمِ الكفرِ، وأنّ

---

1 سورة النحل: 16 / 106.

2 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 182."

3 "الثعلبي، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، 16/ 137.قال الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، *تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري*، (الرياض: دار ابن خزيمة، 1414هـ)،246/2: قلت ذكره الثعلبي في تفسيره هكذا باللفظ المذكور عن ابن عباس من غير سند وكذلك البغوي وكذلك الواحدي في أسباب النزول ورواه الحاكم في مستدركه."

4 "الطبري، *جامع البيان*، 14/ 374.قال الحافظ في *الفتح*،312/12: مرسل ورجاله ثقات."

5 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 242. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، *المصنف في الأحاديث والآثار*، (الرياض: مكتبة الرشد، 1409)، 473/6 رقم 33037، قال الزيلعي في *تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري*، 247/2:مرسل."

منْ أُكرهَ على الكفرِ فاختارَ القتلَ أنَّه أعظمُ أجرٍ عندَ اللهِ ممَّن اختارَ الرُّخصةَ"[1] "﴿**ذَلِكَ**﴾" إشارةً إلى الغضبِ والوعيدِ "﴿**بِأَنَّهُمُ**﴾" أي بسببِ أنَّهم "﴿**اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾" أي آثروها واختاروها "﴿**عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾"[2] "أي: الكافرينَ في علمهِ إلى ما يوجدُ ثباتَ الإيمانِ، ولا يعصِمُهم عن الزَّيغِ ثُمَّ وصفهم فقالَ"[3]: "﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾" أي: عن فهمِ المواعظِ"﴿**وَسَمْعِهِمْ**﴾" عن كلامِ الله "﴿**وَأَبْصَارِهِمْ**﴾" عن النَّظرِ في الآياتِ فأَبَت عن إدراكِ الحقِّ والتَّأمُّلِ فيه "﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾"[4] أي: الكاملونِ في الغفلةِ عما يُرادُ بهم "﴿**لَا جَرَمَ**﴾" حقَّاً "﴿**أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾"[5] إذ ضيَّعوا أعمارَهم [297/أ] وصَرَفوها فيما أَفضى بهم إلى العذابِ المخلَّدِ "﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا**﴾" على الجهادِ وما أصابهم منِ المشاقِّ "﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا**﴾" أي: من بعدِ الهجرةِ والجهادِ والصَّبرِ أو بعدَ الفتنةِ "﴿**لَغَفُورٌ**﴾" لما فعلوا م قبلُ "﴿**رَحِيمٌ**﴾"[6]"يُنعمُ عليهم مجازاةً على ما صنعوا بعدُ، قيلَ: هذا كلُّه في عمَّارٍ، والمعنى وصَبروا على الجهادِ، وقيلَ: نزلتْ في قومٍ خرجوا مهاجرينَ إلى المدينةِ بعدَ أن فتنَهم المشركونَ، وذلك أنَّ ناساً من أهلِ مكَّةَ آمنوا، فكتبَ إليهم بعضُ أصحابِ النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم بالمدينةِ: أن هاجروا، فإنَّا لا نراكم منَّا حتَّى تهاجروا إلينا، فخرجُوا يريدونَ المدينةَ، فأردكهم قريشُ بالطَّريقِ، فعذَّبوهم فكفروا مُكرَهين، ففيهم نزلت، قاله مجاهدٌ"[7]. وقُرئَ فتنوا بالبناءِ للمفعولِ على فتنهم المشركون كما تقدَّم، وقُرئَ بالبناءِ للفاعلِ

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 188."
2 سورة النحل: 16 / 107.
3 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 185."
4 سورة النحل: 16 / 108.
5 سورة النحل: 16 / 109.
6 سورة النحل: 16 / 110.
7 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 181."

على أنَّ الآيةَ نزلت بسببِ الَّذين عَذَّبوا المؤمنينَ على الكفرِ، ثم أَسلموا وهاجروا كعكرمةَ بنَ أبي جهلٍ و سهيلِ بنَ عمرو[1]، وكرَّرَ من بعدُ لطولِ الكلامِ وخشيةِ تناسي الأوَّلِ، وتطريةِ وتجديدِ العُهدةِ، وخبرُ إنَّ الأولى دلَّ عليهِ خبرُ إنَّ الثَّانية"[2]، "﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ**﴾" منصوبٌ برحيمٍ أو باذكرْ "﴿**تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا**﴾" أي: تحاجُّ وتخاصمُ عن ذاتِها، وتسعى في خلاصِها لا يهمّها شأنُ غيرِها، كما جاءَ في الخبرِ أنَّ كلَّ أحدٍ يقولُ يومَ القيامةِ نفسي نفسي من شدَّةِ هولِ يومِ القيامةِ[3] سِوى محمّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يسألُ في أمَّتهِ"[4] "﴿**وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ**﴾" أي: جزاءَ ما عملت "﴿**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾"[5] أي: لا يُنقَصون أجورُهم "﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً**﴾" أي: جعلها مثلاً [ب/297] لكلِّ قومٍ أنعمَ اللهُ عليهم فأبطرتْهم النِّعمةُ فكفروا، فأنزلَ اللهُ بهم نقمتَه، أو ضربهِ لمكَّةَ "﴿**كَانَتْ آمِنَةً**﴾" أي: ذاتَ أمنٍ "﴿**مُطْمَئِنَّةً**﴾" لا يزعجُ أهلَها خوفٌ"﴿**يَأْتِيهَا رِزْقُهَا**﴾" أي: أقواتُها "﴿**رَغَدًا**﴾" واسعاً "﴿**مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**﴾" من نواحيها من البَرِّ والبحرِ كما قالَ يحيى: إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ"﴿**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**﴾" أي: بنعمهِ، جمعُ نِعمةٍ، على تركِ الاعتدادِ بالتَّاءِ كذراعٍ وأذرعٍ، نَعَمٌ كبوسٍ وأبوس، وهذا الكفرانُ تكذيبُ محمّدٍ صلَّى الله عليهِ وسلَّم ، ورُويَ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم دعا على مشركي قريشٍ وقالَ: "اللهمَّ اشدُد وَطْأتك على مُضرَ، واجعلها عليهم سنيناً كسنينِ يوسُفَ"[6] فابتُلوا بالقَحطِ حتى أَكلوا العِظامَ،

---

1 "سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي العامري من لؤي خطيب قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر، وافتدي فأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة فأسلم، وسكنها ثم سكن المدينة، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية . الزركلي، *الأعلام*، 3/ 144. "

2 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 192."

3 سقط من النسخة (ب) جملة (يوم القيامة) ."

4 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 193."

5 سورة النحل: 16 / 111.

6 "البخاري، *الجامع الصحيح*، 341/1 رقم 961."

ووجّه إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم طعاماً ففرَّق فيهم على ما يأتي"[1]"﴿**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾" استعارَ الذَّوقَ لإدراكِ أثرِ الضَّررِ، واللباسَ لما غشيَهم، واشتملَ عليه من الجوعِ والخوفِ، وواقعُ الإذاقةِ عليهِ بالنَّظرِ إلى المستعارِ لهُ، وسمَّاهُ لباساً؛ لأنَّه يَظهرُ عليهم منَ الهُزالِ، وشحوبةِ اللَّونِ، وسوءِ الحالِ ما هو كاللباسِ، وهيَ استعارةٌ مجرَّدةٌ لأنَّها قُرنت بما يُلائم المستعارَ لهُ وهوَ الإذاقةُ، ولو أرادَ التَّرشيحَ لقالَ فكساها لكن المجرَّدةُ هنا أبلغُ، لما في لفظِ الإذاقةِ من المبالغةِ في الألمِ باطناً"[2]"﴿**بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾"[3] "أي: بصُنعهم، وضربَ بمكَّةَ مثلاً لغيرِها من البلادِ، أي: أنَّها مع جوارِ بيتِ اللهِ[4] وعمارةِ مسجدهِ لما كفرَ أهلُها أصابهم القحطُ فكيفَ بغيرِها من القُرى، وقيلَ: أنَّها المدينةُ آمنتْ برسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم ثم كفرتْ بأنعمِ اللهِ بقتلِ عثمانَ وما حدثَ بها بعدَ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليه[5] [أ/٢٩٨] وسلَّم، وهذا قولُ عائشةِ وحفصةِ"[6] "﴿**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ**﴾" يعني محمّداً صلَّى الله عليهِ وسلَّم والضَّميرُ لأهلِ مَكَّة عاد إلى ذكرِهم بعدما ذكرَ مثلَهم "﴿**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾"[7] "أي: حالَ التباسِهم بالظُّلم والعذابِ ما أصابَهم من الجَدبِ الشَّديدِ، أو وقعةَ بدرٍ، وهذا يدلُّ على أنَّها مكَّة، وهو قولُ ابنُ عبَّاس"[8]"﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ**﴾" أمَرهم بأكلِ ما أحلَّ لهم، وشكَروا ما أنعمَ عليهم بعدَ ما زَجَرهم عن الكفرِ، وهدَّدهم بما ذكر من التَّمثيلِ والعذابِ الَّذي حلَّ بهم صدَّاً لهم عن صنيعِ الجاهليَّةِ ومذاهبِها الفاسدةِ، وذلكَ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم بعثَ إلى أهلِ مكَّةَ

---

1 " "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 194".

2 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 193."

3 سورة النحل: 16 / 112.

4 وردت في النسخة (ب) كلمة (الحرام) .

5 ورد في النسخة (ب) جملة (من الفتن) .

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 194."

7 سورة النحل: 16 / 113.

8 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 195."

طعاماً رِقّةً عليهم بعدَ ما ابتُلوا بالجوعِ سبعَ سنينَ، وقطعت العربُ عنهم الميرةَ بأمرِ النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم حتَّى أكلوا العظامَ المحرَّقةَ، والجيفَ، والكلابَ المنتنةِ، والجلودَ والعلهزَ[1] وهوَ الوبرُ يُلطَّخُ بالدَّمِ ويُشوَى، ثمَّ إنَّ رؤوسَ مكَّةَ كلَّموا رسولَ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم حينَ جَهِدوا وقالوا: هذا عذابُ الرِّجالِ فما بالُ النِّساءِ والصِّبيانِ، وقالَ أبو سُفيان[2]: يا محمَّدُ إنَّكَ جئتَ تأمرُ بصلةِ الرَّحمِ والعفوِ، وإنَّ قومكَ قد هلكُوا فادعُ اللهَ لهم، فدعَا لهم رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم وأَذِنَ للنَّاسِ بحملِ الطَّعامِ إليهم، وهم بعدُ مشركون، وقيلَ: الأمرُ للمسلمينَ أي: فكُلوا يا معشرَ المسلمينَ من الغنائمِ"[3] "﴿**إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾"[4] أي تُطيعون "﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾"[5] [ب/298] لما أَمرهم بتناول ما أحلَّ لهم عدَّد عليهم محرماتِه ثمَّ أكَّدَ ذلكَ بالنَّهيِ عن التَّحريمِ والتَّحليلِ بأفواههم فقالَ: "﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ**﴾" كما قالوا ما في بطونِ هذهِ الأنعامِ خالصةً لذكورنا الآية، وانتصابُ الكذبِ بلا تقولوا، وهذا حلالٌ وهذا حرامٌ بدلٌ منهُ، أو متعلِّقٌ يتَّصفُ على إرادةِ القولِ، أي: ولا تقولوا الكذبَ لما تصفهُ ألسنتُكم فتقولوا هذا حلالٌ وهذا حرامٌ، والمعنى لا تحلِّلوا ولا تحرِّموا بمجردِ قولٍ تنطقُ به ألسنتُكم من غيرِ دليلٍ، ووصفُ ألسنتِهم الكذبَ مبالغةً في وصفِ كلامهم بالكذبِ، كأنَّ حقيقةَ الكذبِ كانتْ مجهولةً، وألسنتُهم تصفها بكلامِهم، ولهذا عُدَّ من فصيحِ الكلامِ كقولهم: وجهُها يصفُ الجمالَ، وعينُها تصفُ

---

1 "العلهز: وبر يخلط بدماء الحلم كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجدب، وقال أبو الهيثم العلهز: دم يابس يدق به أوبار الإبل في المجاعات ويؤكل. ابن منظور، *لسان العرب*، 10/ 267."

2 "المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم، أبو سفيان الهاشمي القرشي أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام، وهو أخو رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم من الرضاع، كان يألفه في صباهما ولما أظهر النَّبي صلَّى الله عليهِ وسلَّم الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة وهجاهة، الزركلي، *الأعلام*، 7/ 276."

3 " المراغي، *تفسير المراغي*، 14/ 153."

4 سورة النحل: 16 / 114.

5 سورة النحل: 16 / 115.

السِّحْرَ"[1] "﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾" بنسبةِ ذلكَ إليهِ، وهوَ تعليلٌ يتضمَّنُ الغرضَ "﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾"[2] لما كانَ المفتري يفتري لتحصيلِ مطلوبٍ نفَى عنهم الفَلاحَ "﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"[3] "أي: ما يفترونَ لأجلهِ، أو ما هم فيه منفعةٌ قليلةٌ تتقطعُ عن قريبٍ، الزَّجَّاجُ: أو متاعُهم متاعٌ قليلٌ ثم يردُّون إلى عذابٍ أليمٍ"[4] "﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾" اليهودُ "﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾" أي: في سورة الأنعامِ في قوله: "﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾" إليه، وقولُه من قبلُ متعلِّقٌ بقَصَصْنا أو بحرَّمنا"[5]"﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾" بالتَّحريم "﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾"[6] "حيثُ فعلوا ما عُوقبوا بهِ عليهِ، وفيهِ تنبيهٌ على الفرقِ بينَهم وبينَ غيرِهم في التَّحريم

[299/أ] وأنَّهُ كما يكونُ للمضرَّةِ يكونُ للعقوبةِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى حرَّمَ عليهم تلكَ الأشياءَ عقوبةً لهم لأجلِ ظُلمهم كَما قالَ: فبظُلمٍ من الَّذين هَادوا حرَّمنا عليهم طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لهم"[7]"﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾" أي: بسببها متلبِّسينَ بها ليعمَّ الجهلُ باللهِ وبعقابهِ، وعدمُ التَّدبُّرِ في العواقبِ لغلبةِ الشَّهوةِ والسُّوء يعمّ الافتراءُ على اللهِ وغيرِه، ابنُ عبَّاس: السُّوءُ الشِّركُ"[8] "﴿ثُمَّ تَابُوا﴾" رَجعوا "﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾" عملَهم "﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾" أي: من بعدِ التَّوبةِ "﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾"[9] لمنْ يثبتُ على الإنابةِ "﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾" لكمالهِ واستجماعهِ فضائلَ لا تكادُ توجدُ إلَّا مفرقةً في أشخاصٍ

---

1 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 195."
2 سورة النحل: 16 / 116.
3 سورة النحل: 16 / 117.
4 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 196."
5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 196."
6 سورة النحل: 16 / 118.
7 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 196."
8 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 197."
9 سورة النحل: 16 / 119.

كثيرةٍ كقولِه: وليسَ على اللهِ بمُستنكَرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ، وهوَ رئيسُ الموحِّدينَ، وقُدوةُ المحقِّقينَ الَّذي جادلَ فِرقَ المشركينَ، وأبطلَ مذاهبَهم الزايغةِ بالحِججِ الدَّامغةِ، وقيل: أمةٌ فُعلةٌ بمعنى مفعولٍ كالرِّحلةِ والنُّخبةُ من أُمَّة إذا قصدهُ أو اقتدى بهِ فإنَّ النَّاسَ كانوا يؤمُّونه للاستفادةِ، ويقتدونَ بسيرتِهِ"[1]"﴿ **قَانِتًا لِلَّهِ**﴾" أي: مطيعاً قائماً بأوامرِهِ "﴿**حَنِيفًا**﴾" مائلاً عن الباطلِ إلى[2] الدِّينِ القَيِّمِ "﴿**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾"[3] كما زَعموا فإنَّ قُريشاً كانوا يزعمونَ أنَّهم على ملَّةِ إبراهيمَ"﴿**شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ**﴾" ذُكر بلفظِ القِلَّةِ للتَّنبيهِ على أنَّهُ كانَ لا يبخلُ بشُكرِ النِّعَمِ القليلةِ فكيفَ بالكثيرةِ "﴿**اجْتَبَاهُ**﴾" أي: اختارهُ للنُّبوَّةِ "﴿**وَهَدَاهُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾"[4] في الدَّعوةِ إلى الله "﴿**وَآتَيْنَاهُ فِي الدُنيا حَسَنَةً**﴾" فيهِ التفاتٌ عن الغيبة أي: حبَّبهُ إلى النَّاسِ حتَّى أنَّ أربابَ الملِ يدعونهُ [ب/299] ويُثنون عليه، أو رزقهُ أولاداً طيِّبةً وعُمراً طويلاً في السَّعَة والطَّاعة، وقيلَ: بقاءُ ضيافتهِ و زيارةِ قَبرِهِ، وقيلَ غيرُ ذلكَ، وكلُّ ذلكَ أعطاهُ اللهُ"[5] "﴿**وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾"[6] "الَّذينَ لهم الدَّرجاتُ العُلى، ولَمن من أهلِ الجنَّةكما سألَ بقوله وألحقني بالصَّالحين، وقيلَ: من بمعنى معَ أي: معَ الصَّالحينَ لأنَّه كانَ في الدُّنيا أيضاً من الصَّالحين"[7]"﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾" يا محمَّدُ، وثم إمَّا لتعظيمهِ والتَّنبيهِ على أنَّ أجلَّ ما أُوتيَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ اتِّباعُ الرَّسولِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم ملَّتهُ أو لتراخي أيَّامه "﴿**أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾" في التَّوحيدِ، والدَّعوةِ إليه

---

1 "العمادي، *تفسير أبي مسعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، 5/ 149."

2 ورد في النسخة (ب) كلمة (الحق) .

3 سورة النحل: 16 / 120.

4 سورة النحل: 16 / 121.

5 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 198."

6 سورة النحل: 16 / 122.

7 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 199."

بالرِّفقِ، وإيرادِ الدَّلائلِ مرَّةً بعدَ أُخرى، والمجادلةُ مع كلِّ أحدٍ على حسبِ فهمه، وقالَ ابنُ عمرو[1]: أمرَ باتِّباعهِ في مناسكِ الحجِّ، وقالَ الطَّبريّ: أمرَ باتِّباعهِ في التَّبرؤِ من الأوثانِ، والتَّزيُّن بالإسلامِ، ومن ملَّته الختانُ. قالَ البيهقيُّ[2]: "وهذا أحسنُ ما يُحتجُّ به على الختانِ"، قالَ الخطابيّ[3]: "وكان واجباً عليهِ"[4]"﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾"[5] "بل كانَ قدوةَ الموحِّدين كرَّر ذلكَ ردَّاً على زعمِ اليهودِ والنَّصارى أنَّهم على دينهِ"[6] "﴿**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ**﴾" أي: تعظيمِ السَّبتِ والتَّخلِّي فيه للعبادةِ "﴿**عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾" أي: على نبيِّهم وهم اليهودُ أَمرهم موسى أن يتفرَّغوا للعبادةِ يومَ الجُمُعةِ فأَبَوا، وقالوا: نريدُ يومَ السَّبتِ لأنَّ اللهَ فرغَ فيهِ من خلقِ السَّمواتِ والأرضِ، رُويَ أنَّهم ناظروهُ في أنَّ السَّبتَ أفضلُ، فقالَ اللهُ تعالى له: دَعهم وما اختارُوا لأنفسِهم، فأَلزمهم اللهُ السَّبتَ، وشَدَّدَ الأمرَ عليهم، والمعنى[أ/300] لم يكنْ في شرعِ إبراهيمِ ولا من دينهِ، بل كانَ سمحاً لا تغليظَ فيهِ، وكانَ السَّبتُ تغليظاً على اليهودِ، ورُويَ أنَّ اللهَ تعالى لم يُعيِّنه لهم، وإنَّما أَمرهم بتعظيمِ يومٍ في الجُمعةِ، فاختلفَ اجتهادُهم في تغييرِ تعيينهِ فعيَّنت اليهودُ السَّبتَ، وعيَّنت النَّصارى الأحدَ، وقالوا: هوَ يومُ بدأَ اللهُ فيهِ خلقَ السَّمواتِ والأرضِ، فأَلزمَ كلَّ ما أدَّى إليهِ اجتهادُه، وعيَّنَ اللهُ لهذهِ الأمَّةِ يومَ الجمعةِ من غيرِ أن يَكِلهم إلى اجتهادِهم فضلاً منهُ، وقيلَ: المعنى إنَّما

---

1 "محمّد بن محمّد التهامي بن محمّد ابن عمرو، أديب لغوي، مسند، رحال من بني عمرو المنتسبين للأنصار، أندلسي الأصل من أهل الرباط بالمغرب ولد ونشأ بها، توفي بمكة . الزركلي، *الأعلام*، 7/ 72."

2 "أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرها، قال إمام الحرمين: ما من شافعيّ إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له المنة والفضل على الشافعيّ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه، صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى – ط) عشر مجلدات، و(السنن الصغرى) ، الزركلي، *الأعلام*، 1 /116 ."

3 "حمد بن محمّد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان: فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له (معالم السنن – ط) مجلدان، في شرح سنن أبي داود ، الزركلي، *الأعلام*، 2 / 273 ."

4 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 199."

5 سورة النحل: 16 / 123.

6 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 198."

جعَلَ وبالَ السَّبتِ وهو المسخُ على الَّذين اختلفوا فيهِ، فأجَّلوا الصَّيدَ فيهِ تارة وحرَّموه أخرى، واحتالوا لهُ الحيلَ على ما تقدَّم في الأعرافِ، وذَكَرهم هنا لتهديدِ المشركينَ كذكرِ القريةِ الَّتي كَفرتْ بأنعُمِ اللهِ"[1]"﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾"[2] بالمجازاةِ على الاختلافِ، أو بمجازاةِ كلِّ فريقٍ بما يستحقُّهُ "﴿**ادْعُ**﴾" يا محمَّدُ من بُعثتَ إليهِ "﴿**إلى سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾" أي الإسلامِ "﴿**بِالْحِكْمَةِ**﴾" أي: بالمقالةِ المحكمةِ، وهوَ الدَّليلُ الموضِّحُ للحقِّ المزيحِ للشُبهةِ"[3]"﴿**وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾" أي: الخطاباتِ المقنعةِ، والعِبَرِ النَّافعةِ[4] وقيلَ: بتلطُّفٍ ولينٍ دونَ مخاشنةٍ وتعنيفٍ، والأُولى لدعوةِ خواصِّ الأُمَّةِ، والثَّانيةِ لدعوةِ عوامِّهم، وهكذا ينبغي أن يُوعظَ المسلمونَ إلى يومِ القيامةِ فهي مُحكمةٌ في جهةِ العصاةِ من الموحِّدينَ، ومنسوخةٌ بالقتالِ في حقِّ الكافرين"[5] "﴿**وَجَادِلْهُمْ**﴾" أي جادلْ معانِديهم "﴿**بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾" أي: بالطَّريقةِ الَّتي هي أحْسنُ طرقِ المجادلةِ، من الرَّفقِ والِّلينِ وإيثارِ الوجهِ الأيسرِ [ب/300]، والمقدماتِ الَّتي هيَ أشهرُ، فإن ذلكَ أنفعَ في تسكينِ لهبهم وتبيينِ شُبههم "﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ**﴾" أي: عالمٌ "﴿**بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾"[6] "أي: إنَّما عليكَ البلاغُ والدَّعوةِ، وأمَّا حصولُ الهدايةِ والضَّلالِ والمجازاةِ عليهما، فلا إليكَ بل اللهُ أعلمُ بالضَّالين المهتدين، وهو المجازي"[7]"﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ**﴾" لما أمرهُ بالدَّعوةِ وبيَّنَ طُرُقها أشارَ إليه إلى مَن يتابعهُ بتركِ المخالفةِ ومراعاةِ العدلِ. وجمهورُ المفسِّرين أنَّ هذهِ الآيةِ مدنيَّةٌ نزلتْ في شأنِ التَّمثيلِ بحمزةَ في يومِ أحُد كما في صحيحِ

---

1 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 245."

2 سورة النحل: 16 / 124.

3 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 245."

4 سقطت من النسخة (ب) كلمة (النافعة) .

5 " جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، (السعودية: المدينة المنورة، ط.5، 1424هـ/ 2003م)، 3/ 170."

6 سورة النحل: 16 / 125 .

7 "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 246."

البخاري[1]، ورَوى الدَّارقطنيّ عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: "لما انصرفَ المشركونَ عن قتلى أُحدٍ انصرفَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم فرأى منظراً ساءَهُ، ورَأى حمزةَ قد شُقَّ بطنُهُ، واصطُلِمَ أنفهُ، وجُدعت أُذناه، فقالَ: لولا أنْ تحزنَ النِّساء أو تكونَ سُنَّةً من بعدي لتركتُه حتَّى يبعثُه اللهُ من بطونِ السِّباعِ والطَّيرِ لأمثِّلنَّ مكانَه بسبعينَ قتيلاً، ثمَّ دعا بُردةً وغطَّى بها وجهَه، فخَرجت رجلاهُ فجعلَ على رجليهِ من الإذخرِ ثمَّ قدَّمهُ فكبَّرَ عليهِ عشراً"[2]، ثمَّ جَعلَ يُجاءُ بالرَّجلِ فيُوضعُ وحمزةُ مكانهُ حتَّى صَّلى عليه سبعينَ صلاةً، وكانَ القَتلى سبعين، فلمَّا دُفنوا وفرغَ منهم نزلتْ هذهِ الآيةَ"[3] "﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾" ربِّكَ إلى قوله "﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾" فصبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ولم يُمَثِّلْ بأحدٍ، وكفَّرَ عن يمينه"[4] ،كما رواهُ البزَّاز[5]، "وحَكى الطَّبريُّ عن فرقةٍ: أنَّها نزلتْ فيمن أُصيبَ بظُلامةٍ أن ينالَ من ظالمهِ إذا تمكَّنَ إلا مثلَ ظُلامتهِ لا يتعدَّاهُ إلى غيرهِ، وسمَّى اللهُ الإذْناب [أ/301] في هذهِ الآيةِ عقوبةً، والعقوبةُ حقيقيَّةٌ إنَّما هيَ الثَّانية، وإنَّما فعلَ ذلكَ ليستويَ اللفظانِ، وهو بعكسِ (**ومكروا ومكرَ اللهُ**) فإنَّ الثَّاني هو المجازُ، والأوَّل هو الحقيقةُ، قالَه ابنُ عطيَّةَ"[6] "﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ**﴾" أي: الصَّبر "﴿**لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾"[7] "من الانتقامِ للمنتقمينَ، ثمَّ صرَّحَ بالأمرِ بهِ لرسولِ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم لأنَّهُ أَولى الناس لزيادةِ علمهِ باللهِ"[8] فقال:

---

1 لم أقف على هذا الموضع في صحيح البخاري.

2 "خالد الرباط سيد عزت عيد بمشاركة الباحثين بدار الفلاح، *الجامع لعلوم الإمام أحمد*، (مصر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط.1، 1430هـ/ 2009م)، 18/ 109، (4815)."

3 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 201."

4 "*سنن الدار قطني*، كتاب السير، 5/ 207، (4209)."

5 "لم أقف على هذه الرواية في مسند البزار، وقال الزيلعي في *تخريج أحاديث الكشاف*، 251/2: لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين، ورواه الطبراني في معجمه والبزار في مسنده ."

6 "عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي ، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1422هـ)، 432/3."

7 سورة النحل: 16 / 126.

8 "القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 202."

"﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾"أي: بتوفيقهِ وتثبيتهِ "﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾"أي: على الكافرينَ أو على قتلى أُحُد، وما فعلَ بهم فإنَّهم صَاروا إلى رحمةِ اللهِ "﴿**وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾"[1] "أي: في ضيقِ صدرٍ من مكرِهم، وقُرئ بالكسرِ هُنا وفي النَّملِ وهما لُغتانِ كالقولِ والقيلِ، وقالَ الفَرَّاءُ: الضِّيقُ ما ضاقَ عنه صدرُك، وضَيقِ ما يكونُ في الَّذي يتَّسعُ ويضيقُ كالدَّارِ والثَّوبِ"[2] "﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾" المعاصي "﴿**وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾"[3] "في أعمالهم بالوِلايةِ والفَضلِ، أو مع الَّذين اتَّقَوا بتعظيمِ أمرِه، والَّذين هم مُحسنونَ بالشَّفَقَةِ على خَلقهِ، قيلَ لهرمِ بن حيَّانَ[4] عندَ موتِهِ: أوصِنا، قالَ: أُوصيكُم بآخرِ سُورةِ النَّحلِ"[5].

1 سورة النحل: 16 / 127 .

2 ينظر: "البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 245."

3 سورة النحل: 16 / 128 .

4 "هرم بن حيان العبدي الأزدي، من بني عبد القيس، قائد فاتح من كبار النساك من التابعين، كان أمير بني عبد القيس في الفتوح، وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان، بأرض فارس، وكان من سكان البصرة عده ابن أبي حاتم من الزهاد الثمانية من كبار التابعين، (ت: 647م)، الزركلي، *الأعلام*، 8/ 82-83."

5 " المظهري محمّد ثناء الله، *التفسير المظهري*، تح: غلام نبي التونسي، (باكستان: مكتبة الرشدية، ط.1، 1412هـ)، 5/ 392."

الخاتمة

تمثل هذا العمل بتحقيق جزءٍ من تراثنا اللغوي والدّيني المهم وهو الاشتغال بكتاب الله جل وعلا، لبيان ما فيه من حسن التأليف، وبهاء الإعجاز الذي لا ينقضي، فكان تفسير شمس الدّين محمّد بن عبد الرحمن المصري المقدسي الشافعي لسورة "النحل" مما ضنت به خزائن المكتبات وغفل عنه المحققون.

ومما خرج به الباحث من نتائج كان أهمها:

- تأتي أهمية تفسير المصري الشافعي لسورة: (**النَّحل**) لما اشتمل عليه من تنويع المشارب المعرفية، إذ حوى على التفسير والحديث والنحو والبلاغة والصرف والشعر، وضم الكثير من الفوائد اللغوية والبلاغية.
- اعتمد شمس الدين المقدسي في تفسيره على المناهج الثلاثة المعتبرة في التفسير، فأخذ في تفسيره بالتفسير بالمأثور ونقل عن الطبري والثعلبي وابن عطية والسيوطي وغيرهم، وأخذ بالتفسير بالرأي فنقل عن القرطبي والبيضاوي ـوأكثر من ذلك ـ والنسفي وأبي السعود وغيرهم من أصحاب الاستنتاج العقلي، كما أخذ بالتفسير الإشاري ونقل في مواضع يسيرة عن ابن عربي وغيره من المتصوفة .
- اعتمد المقدسي على الكتب التي عنيت بالجانب اللغوي والبلاغي وبيان أوجه الإعراب والشواهد الشعرية ، واشتمل تفسيره على عرض المسائل الصرفية في شرح الآيات، وعلى تدعيم التفسير بشروح البلاغة، والمقابلة بين الآيات القرآنية المتناظرة في الدلالة أو اللفظ، كما اعتنى بشروح الألفاظ ومعانيها المعجمية.
- اهتم المقدسي بعرض المسائل الفقهية والعقدية المتعلقة بموضوع الآيات بشكل موجز وكان يرجح أحياناً.

- ومما يؤخذ على تفسير المقدسي كثرة أخذه عن كتاب: "(تفسير البيضاوي) المسمّى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)،" واعتماده عليه في معظم شروحه وأقواله واستدلالاته، وأحياناً يضمّن منه من دون أن يذكر ما أخذه منه.

- ومن المآخذ تضمينه أقوال المفسرين واللغوين من دون عزوها، وهو ما يحوج إلى مزيد من تتبّع الأقوال في مظانّها، وإلى مزيد من البحث والتمحيص.

وهذه الملاحظات يمكن لأي مفسر أن يقع فيها في أثناء النقل من النسخ الخطية، وهي لا تنقص من أهميته العلمية، فقد ارتبط المخطوط بثقافة عصره، ورصد جانباً معرفياً ثرياً متنوع المشارب، وسلط الضوء على هذه الشخصية المغمورة التي تستحق الدراسة.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- "ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت:253هـ)، *المصنف في الأحاديث والآثار*، الرياض: مكتبة الرشد، 1409. "

- "ابن الخطيب، محمّد محمّد عبد اللطيف (ت: 1402هـ)، *أوضح التفاسير*، مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط. 6، 1383هـ/1964م. "

- "ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العكري، (ت: 1089هـ)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تح: محمود الأرناؤوط، لبنان: بيروت، دار ابن كثير، ط.1، 1406هـ/1986م. "

- "ابن جزي الغرناطي، محمّد بن أحمد (ت: 741هـ)، *التسهيل لعلوم التنزيل*، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، لبنان: بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط.1، 1416هـ. "

- "ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت: 597 هـ)، *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبدالرزاق المهدي، لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط.1، 1422 هـ. "

- "ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت:852هـ)، *فتح الباري*، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ".

- "ابن خلكان، أحمد بن محمّد بن إبراهيم (ت: 681هـ) *وفيات الأعيان*، مح. إحسان عباس، لبنان: بيروت، ط.1، د.ن. "

- "ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت: 230هـ)، *الطبقات الكبرى*، تح: محمّد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1410هـ/ 1990م. "

- "ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: 775هـ)، *اللباب في علوم الكتاب*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1419هـ/1998م. "
- "ابن عاشور التونسي، محمّد الطاهر بن محمّد (ت:1393 هـ) ، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984."
- "ابن عطية الأندلسي المحاربي، عبد الحق بن غالب (ت: 542هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1422هـ".
- "أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى ، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، السعودية: المدينة المنورة، ط.5، 1424هـ/ 2003م".
- "أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، *سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود*، الهند: المطبعة الأنصارية بدهلي، د. ط، 1323هـ. "
- "أبو زهرة، محمّد بن أحمد (ت: 1394هـ)، *زهرة التفاسير*، لبنان، دار الفكر العربي، د.ط، د. ن.
- "أحمد بن حنبل(ت:241هـ)، *المسند*.القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت. "
- "الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم ابن أحمد(ت: 749)، *بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب*، تح. محمّد مظهر بقا، السعودية: دار المدني، ط.1، 1406هـ/ 1986م. "
- "الألباني، محمّد ناصر الدّين، *صحيح الترغيب والترهيب*، السعودية: الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط. 1، 1421هـ/ 2000م. "
- "الأنجري، أحمد بن محمّد ابن عجيبة (ت: 1224هـ)، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مصر: القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، ط.1، 1419هـ. "

- "الباهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم (ت: 231هـ)، *ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب*، تح: عبد القدوس أبو صالح، السعودية، جدة، مؤسسة الإيمان، ط.1، 1982م- 1402هـ. "
- "البخاري، محمّد بن إسماعيل (ت:256هـ)، *صحيح البخاري*، تح: مصطفى ديب البغا، سوريا: دمشق، دار ابن كثير، ط.5، 1414هـ/ 1993م. "
- "البغدادي، إسماعيل بن محمّد أمين، *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*، لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د. ن. "
- "البوصيري، أحمد بن أبي بكر(ت: 840هـ) ، *مصباح الزجاجة*، بيروت: دار العربية، 1403هـ. "
- "البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمّد الشيرازي، (ت :685هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمّد عبدالرحمن المرعشلي، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط.1، 1418هـ. "
- "البيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي(ت:458)، *الزهد الكبير*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996."
- "الثعلبي، أحمد بن إبراهيم (ت: 427هـ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، السعودية: جدة، دار التفسير، ط.1، 1436هـ/ 2015م. "
- "الثعلبي، أحمد بن محمّد بن إبراهيم (ت:427هـ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح: الإمام أبي محمّد بن عاشور، راجعه ودققه الأستاذ نظير الساعدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.1، 1422 هـ /2002 م. "
- "الجاوي، محمّد بن عمر نووي البنتني (ت: 1316هـ)، *مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد*، تح: محمّد أمين الصناوي، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1417هـ. "
- "حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت 1067هـ)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، بغداد، مكتبة المثنى، د.ط، 1941م. "

- "الحريملي النجدي، فيصل بن عبد العزيز المبارك (ت: 1376هـ)، *توفيق الرحمن في دروس القرآن*، تح: عبد العزيز بن عبدالله بن إبراهيم الزير آل محمّد، السعودية: الرياض، دار العاصمة، ط.1، 1416هـ/ 1996م. "
- "الخازن، علاء الدّين علي بن محمّد الشيحي (ت 741 هـ)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح: محمّد علي شاهين، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1415هـ. "
- "خالد الرباط سيد عزت عيد بمشاركة الباحثين بدار الفلاح، *الجامع لعلوم الإمام أحمد*، مصر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط.1، 1430هـ/ 2009م. "
- "الخفاجي، أحمد بن محمّد بن عمر(ت: 1069)، *حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي*، لبنان: بيروت، دار صادر، د.ط، د. ن. "
- "الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت: 1127هـ)، *روح البيان*، لبنان: بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ن."
- "الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ) *سير أعلام النبلاء*، تح. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، لبنان: بيروت، مؤسسة الرّسالة، ط.3، 1405هـ/1985م. "
- "الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ)، *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، لبنان: بيروت، ط.1، 1408هـ/ 1988م. "
- "الزحيلي، وهبة بن مصطفى، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، سوريا: دمشق، دار الفكر المعاصر، ط. 2، 1418هـ".
- "الزركلي، خير الدّين بن محمود بن محمّد (ت: 1396هـ)، *الأعلام*، لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، ط.15، 2002م".

- "الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي(ت:765هـ)، *تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري*، الرياض: دار ابن خزيمة، 1414هـ. "
- "السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ)، *المقاصد الحسنة*، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985.
- "السخاوي، محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد (ت: 902هـ). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* . لبنان: بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د. ن. "
- "السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله (ت:1376 هـ)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* ، تح عبدالرحمن بن معلا اللويحق، لبنان: مؤسسة الرّسالة، ط.1، 1420هـ./ 2000 م. "
- "السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تح: الدكتور أحمد محمّد الخراط، سوريا: دمشق، د.ط، د. ن. "
- "السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر(ت:911هـ)، *الدر المنثور*، لبنان: بيروت، دار الفكر، د.ط، د. ن".
- "السيوطي(ت: 911هـ)، *نظم العقيان في أعيان الأعيان*، تح: فيليب حتي، لبنان: بيروت، المكتبة العلمية، د. ط، د. ن. "
- "الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد بن عبدالله (ت:1250هـ)، *فتح القدير* دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلام الطيب،1414 هـ. "
- "الصابوني، محمّد علي، *صفوة التفاسير*، مصر: القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، 1417هـ/ 1997م".
- "الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: 360هـ)، *المعجم الكبير*، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مصر: القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط. 2، 1415هـ/ 1994م. "

- "الطبري، محمّد بن جرير بن يزيد (ت: 310 ه)، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي، لبنان: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع وإعلان، ط.1، د. ن. "
- "العمادي، أبو السعود محمّد بن محمّد بن مصطفى (ت: 982ه)، *تفسير أبي مسعود إرشاد العقل السليم إلى مزيا الكتاب الكريم*، لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د. ن. "
- "القرطبي، أحمد بن عمر الأندلسي (ت: 578ه)، *اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه*، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، سوريا: دمشق، دار النوادر، ط.1، 1435ه/ 2014م. "
- "القرطبي، محمّد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*. تح .أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط.2، 1384 ه /1964 م. "
- "القنوجي، محمّد صديق خان (ت: 1307ه)، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، لبنان: بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، 1412ه/ 1992م. "
- "الماوردي، علي بن محمد (ت:450ه)، *النكت والعيون*، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت. "
- "المحلي، جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلي (ت: 864ه)، والسيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن (ت: 911ه)، *تفسير الجلالين*، مصر: القاهرة، دار الحديث، ط. 1، د. ن. "
- "محمّد رشيد بن علي رضا (ت: 1354ه)، *تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار*، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م. "
- "محمد ياسين الفاداني المكي(ت:1411ه)، *العجالة في الأحاديث المسلسلة*، دار البصائر، 1985".
- "محي الدّين بن أحمد مصطفى درويش (ت: 1403ه)، *إعراب القرآن وبيانه*، سوريا: حمص، دار الإرشاد للشئون الجامعية، ط.4، 1415ه. "

- "المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، *تفسير المراغي*، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط.1، 1365هـ/ 1946م. "

- "مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261هـ)، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ن. "

- "المظهري، محمّد ثناء الله، *التفسير المظهري*، تح: غلام نبي التونسي، باكستان: مكتبة الرشدية، ط.1، 1412هـ. "

- "النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود ، (ت: 710هـ)، .*مدارك التنزيل وحقائق التأويل* .تح . يوسف علي بديوي راجعه وقدمه له : مجي الدّين ديب مستو، لبنان: بيروت، دار الكلم الطيب، ط.1، 1419 هـ.1998 م. "

- "نظام الدين القمي النيسابوري، الحسن بن محمّد بن حسين (ت: 850هـ)، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: الشيخ زكريا عميرات، لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، 1416هـ. "

- "النيسابوري الشافعي، *التفسير البسيط*، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية : عمادة البحث العلمي، ط1، 1430 هـ".

- "الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد (ت: 468هـ)، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* ، تح. صفوان عدنان داوودي، سوريا: دمشق، دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط. 1، 1415هـ. "